أحلام وغيلان

رواية

❁❁❁

أحلام وغيلان

محمد حسين السماعنة

2018

أمانة عمّان الكبرى
مديرية الثقافة

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(2018/3/1255)

ISBN 978-9923-720-004 (ردمك)

الآراء الواردة في الكتاب لا تعبر عن رأي الجهة الداعمة

محفوظة جميع الحقوق

التصميم والاخراج والإشراف الفني

دار أمجد للنشر والتوزيع

إهداء

لها وحدها فهي التي ما زالت تطل عليَّ بصباحاتٍ من ياسمين لتوقظ الفجر لرقصة الندى

حكاية

هذه الحياة لي فأنا أسمعها تناديني تعالي

هذا الصباح لي، فأنا أشعر بأنامله تمسح شعري، وبنوره يسري في مسامات جسدي، وإشراقه يفتح لي نوافذ على مساحات ممتدة من الجمال والهدوء والسكينة، كان صباحا من صباحات ربيع منطقتنا الذي يزورنا كل عام مليئا بالحب والخير ليلقي على أعيننا تحية من زهر ولوز وتين وخضرة يانعة، ثم يمضي بتثاقل عنا، كانت البسمة تنتشر على وجوه الأشياء كلها طرية ندية سخية رقيقة مشاكسة تتمطى بدلال على وجه المنطقة10، وترتسم بحنان على وجوه الصبايا المعبآت بالأمل والأحلام.

غرفتي البالية كانت هي الأخرى تسكب لي من خيرات الربيع كاسات من الهناء والسكينة أطل منها على الشارع الرئيس للمنطقة 10 الذي يزدحم بالعيون المتلألئة والأنفاس المنتظمة، والهمسات الإنسانية المليئة بالحب والحياة بقلقها ورغباتها وفرحها وسعادتها.

كانت المنطقة 10 تضج بالأنفاس الحارة المليئة بالعنفوان، وتشهق فيها طموحات معتقة وآمال مزهرة ارتخت على وجناتها ألسنة عميقة البوح وأذواها الانتظار والترقب...

كنت جالسة أستمع لذكريات الروح، وأمتشق الماضي لأمتص منه رحيق الحياة لأعاود مسلسل الصبر في ظل غياب زوجي وابني مطر، حين دخلت غرفتي تلك الصبية الباذخة الجمال ونشرت في غرفتي ما تيسر لها من عطر وأسئلة وعيون، فأينعت في الغرفة رائحة من صهيل

روح تائهة... التفت إليها وهي تسحب من بين أناملها الملونة بحركة طرية نظرة تسللت منها على حين غرة، وبقيت صامتة تستدعي مني سؤالا أو حركة يد حتى دمعت من بين شفتيها كلمة مرحبا،

لم تدهشني رقرقتها للراء فهي ابنة العميد الذي عاش أكثر عمره في مدينة السحاب، ولا تثاقل لسانها وهو يقلب اللام، أو وهو ينتقص من الجيم بعض فخامتها، وإنما الذي أدهشني

هو قدرتها على أن تبقى متماسكة مع كل هذه الهشاشة والطراوة والرخاوة التي تظهر في تثنيها، وقدرتها على أن تبقى جسدا واحدا متماسكا

- تفضلي يا حبيبتي، مرحبا ومئة رحب وسعد! اجلسي يا بنتي اجلسي ، خيرا، ما بك ؟

- أمي، حلمت أمس أنني أتحول إلى زهرة برية حمراء تتلقفني أيدي الأطفال، وتعلقني الفتايات بين خصلات شعرهن، وأنا فرح بين أناملهن ووشوشاتهن، لكن أفعى طويلة فتحت فمها على اتساعه وأرادت التهامي... وصحوت قبل أن يصيبني أذاها...

- لا تخافي يا ابنتي؛ فبعد حين ستتزوجين وتنجبين أطفالا يملؤون عليك حياتك بالحب والجمال وتتعرضين وأطفالك لهجمة شرسة من عين يابسة حاسدة، لكنك تنجين منها وتبرأين من أثرها.

...

- نعم ،تحقق حلمها ، فكل ما قلتِه لها يا أمي صار واقعا وحقيقة !

- قالت لي : حلمت أنني أطير في ساحة من الفرح تلوح في فمي الحروف كأنها الأعلام وعمتي نحيلة طويلة علي يدي تنام، وجارتي تشدني من معصمي، وفي يدي قلادة ثقيلة ثقيلة، وأن لي جديلة طويلة طويلة.

- أتذكرين خوخة الصبية الطويلة العرجاء ؟

- يا أمي، يا حبيبتي، أتذكرين حين قلت لي كم تحفظ النساء، صدورهن ساحة من الحياة

يعشن في رحالها، يعدن كل ساعة ترتيبها، يقلن ذكريات، وهن هن، لا يمر موقف إلا وصوته معلق أمامهن للمات ، ما بالها خوخة ؟

- لم تبتسم كعادة النساء حين يفتتحن مرحلة، ألقت إلي صوتها مكبلا ما أجمله !قالت: حلمت أنني مسافرة طيارة، أنام في الغيوم وأقطع القفار، وسادتي من المطر، وفرشتي من المطر، وحولي النجوم والأطيار في رقصة بهية.

- يا أمي يا حبيبتي ما قلتِه قد صار!

- وبنت صاحب الدكان الشيخ تعرفينه عثمان، أتذكرين اسمها، ما كان؟ ما كان اسمها يا شام ما كان؟

- أتت إلي في ظهيرة شمطاء، قالت: يا أمي يا حبيبتي، حلمت أنني أراقب الفراشات، وأجمع الدحنون والتين والرمان والزيتون، تمر بي في لحظة كومضة معطرة صبية مزنرة رشيقة كريشة مخصَّرة، تحولت في لحظة لسوسنة

- نعم، كان اسمها انشراح ، تزوجت من تاجر السجاد....تحققت أحلامها لم تنشر الخبر.

- حبيبتي يا شام !هل حكيت لك حكاية الغول الأكولة؟

- لا يا أمي لم تحكها لي ؟

- اسمعي يا شام الحكاية، كان يا ما كان في سالف العصر والزمان بنت جميلة حلوة الكلام ساحرة البيان اسمها أحلام، ذكية فهيمة رشيقة بهية، تعيش مع أمها العمياء في بيت طيني على الجبال المطلة على قرية سهولها واسعة، وحقولها يانعة طيبة الجنى والهواء، فيها كل ما يتمنى الإنسان من خضرة وماء

- لم يا أمي تعيش هذه الفتاة مع أمها على الجبال ولا تعيش مع أهل القرية وأمها ضعيفة عمياء؟

- يا بنتي يا شام! الحكي يجر الحكي فاستمعي وأنصتي وانتظري ولا تتعجلي.ونظرت بعينين دافئتين إلى شام ثم تابعت الحكي... لما أصاب العمى أم أحلام لم يحتمل أهل القرية أن تكون بينهم امرأة عمياء بعد أن أشاع المختار الحقود المكيود أن عماها مرض معد بالنظر وأن كل من رآها ثلاث مرات أصابه المرض الخطير الذي سيفقده نظره وسمعه، ولأنه مرض خطير أوصى المختار أهل القرية بتجنب المرور من عند بيتها ،فتحاشاها أهل القرية و بنوا لها بيتا في أطراف القرية، وقالوا لها ارحلي وابنتك وابنك عنا اليوم قبل أن تطلع الشمس.

- أطردوها يا أمي لأن أمها عمياء ، تبا لهم ؟!

إنه كيد النساء يا بنتي يا حبيبتي، كيد النساء، فأم أحلام كانت أجمل نساء القرية واستقتل المختار وكثير من رجال القرية في نيل رضاها، وخطبوها مرات ومرات، ولكنها كانت ترفض دائما أن تكون زوجة ثانية، ولما علمت زوجة المختار بشغف المختار بأم أحلام كادت لها أكثر من مرة، وأوقعتها في مشكلات كثيرة متتابعة لم تنته حتى بعد زواج أم أحلام من جرول أبي أحلام، ولما عميت نشرت بين النساء أن أم أحلام مريضة بمرض معد سبب لها العمى ، وأقنعت المختار بأن مرضها يصيب الذكور في مقتل !

- يا ويلها!

- المهم يا بنتي أن أهل القرية طردوا أحلام وأمها وأخاها الصغير من القرية، وهناك أدركت أحلام أن الحياة لا تأتي بالتمني فقد شمرت عن ساعديها، وبدأت تحرث وتزرع وتعمل بجد حتى استطاعت في مدة قصيرة أن تجعل من حقلها سلة من الجنى ومن بيتها واحة من السعادة.حتى إنها قالت لمن كان يحمل إليها مؤونتها الأسبوعية من الطعام : لا تعد إلينا، لا نريد طعامكم ولا ماءكم!

ومرت الأيام والليالي وأحلام تزداد قدرة على تطويع الحقل والأرض لمعاشها، وحين كانت تجلس على الصخرة العالية التي ينتصب عليها بيتها المنبوذ، كانت تتحسر على بيتها الصغير المليء بالذكريات في قريتها القاسية، البيت الذي يلوح لها بيده كلما نظرت إلى القرية ورأته بين بيوتها المتلاصقة ؟

"وأنا اشتقت لك كثيرا لكن هؤلاء القساة وضعوا الحرس على أطراف القرية ليمنعوني من الوصول إليك، ليتني أستطيع الطيران لحلقت فوقك ووقفت كما كنت دائما على نافذتك المطلة على مشارق الشمس، وابتسامات الطل، ونداءات الجمال

وفي ليلة ليلاء اهتزت الأرض بجدران البيت الطيني فأسرعت أحلام إلى أمها وأخيها فقادتهما إلى ملجأ تحت الأرض مكين مخفي بإتقان، يطل على البيت الطيني من الداخل، وبقيت في الملجأ تستطلع لترى ما قلقل الأرض وهزها، فرأت جسدا طويلا من حراشف وزعانف وأسواط، وله مخالب كأنها السيوف وأنياب كأنها الخناجر،والشرر يتفجر في عينيه ومنهما، فكتمت خوفها وصوتها وطلبت من أمها وأخيها أن يناما، وظلت تراقب حركة هذا الوحش حتى الصباح.

- يا أمي، جاءنا أمس وحش طويل طويل، له زعانف وحراشف وذيل من نار، وأنياب كأنها الخناجر، وأسواط في وجهه كثيرة كثيرة، ومن عينيه تطاير شرر ملأ الحقل..!

- هذه هي الغول الأكولة يا بنتي يا أحلام، آكلة الشجر والحجر التي لا تبقي ولا تذر..راقبيها لتعرفي كيف تنتصرين عليها...

وجاءت الغول فقلقت الأرض وهزتها، وضربت الأرض بأسواط من نار ودخان فسارعت أحلام إلى مكان خفي مطل على هذا الخوف والرعب والجنون الذي توحد في مخلوق ناري راقبت الغول وهي تتقافز في الحقل من صخرة إلى صخرة بسرعة ورشاقة وعنف، وراقبتها وهي تنتزع كل شيء في الحقل وتطحنه في فمها الذي يشبه الجاروشة،

انتزعت الأشجار والشجيرات والأعشاب وأكلتها، أكلت كل شيء: الدجاج، والأرانب، والبط، والحمام، والكلب

لكنها لم تقترب من شجرة انتصبت في وسط الحقل !

شام بلهفة وشوق :ما هي يا أمي ؟

- شجرة الزيتون، كانت تتحاشاها وتتناساها ،ولا تقترب منها وتضع يدها على وجهها حين تمر من قربها وتغطي عينيها.

- هل عرفت أحلام ذلك؟

- نعم نعم!

ولحظت أحلام أن الغول وهي تلتهم متاع البيت وطعامه لم تقترب من مطربان الزيتون

أتذكرين يا شام أنني قلت في وصف أحلام إنها ذكية، فقد عرفت بالمراقبة أن الغول يقتلها الزيتون ويحرقها ولذلك فهي تتحاشاه وتهرب منه، وأن لها ساعة تتوقف فيها عن الحركة والقفز والنط وترتمي فيها على الأرض من غير حراك ولا صوت في تلك الساعة تكون فيه الغول في أضعف حال

انتظرت حتى رأت الغول ترتمي على الأرض فركضت بسرعة إلى شجرة الزيتون وقطفت عنها حبات وضعتها بحجرها ورمت حبة على الغول

فصاحت الغول صيحة من نار وغضب ملأت الجبال وهزتها، ولكن الغول لم تستطع الاقتراب من أحلام بل لم تحاول الاقتراب منها ، فرمتها أحلام بحبة ثانية فانتشرت من عيني الغول الغاضبة في الفضاء

نـار عظيمـة أنـارت الفضـاء، فرمتهـا أحـلام بثالثـة فهربـت الغـول وهي تصيح وتتوعد وتتهدد

أخرجـت أحـلام أمهـا وأخاهـا مـن الملجـأ ووقفـت على أطـلال بيتهـا الطيني وفي عينيها زهو انتصار وإصرار على إعادة كل شيء كما كان.

وبعد أشهر قليلة عملت فيها أحلام على إصلاح ما خربته الغول وما دمرته، وبنت البيت من جديد ووزعت حبات من الزيتون على حدود الأرض، وغرست شتلات الزيتون حول البيت، وعاشت مع أمها وأخيها في أمان واطمئنان...

مطر

لم يتجاوز الظل حدوده التي اعتادها، ومن خيط الشمس الذي تسلل إلى خيمة مطر كانت العيون تبني أحلامها أمام جيش النمل الذي لم ينس منذ ستة عشر عاما أن يطرق بأقدامه باب الحرية في دربه اليومي.

كان مطر يبعث مع خيط النمل عينيه ليعرف من أين يأتي هذا النمل بهذه العزيمة، فكم من مرة قام المتدربون برشه ورشه ورشه بكل ما يمكن أن يكون قاتلا فتاكا ولكنه كان يعود دائما أقوى وأجمل وأشجع وأكثر جرأة.

سالم :حلمت أنني نملة أشق الأرض بأصابع من فولاذ.

مطر: حلمت بالخير.

- هل تعرف تفسيرا لحلمي، أم تراها أحلام وحسب، لا تغني ولا تسمن من جوع ؟

- نحن هنا نقتاتها ونعيش بها ؟

- فما تفسير حلمي، إني أراك من العارفين ؟

- يأتيك الفرج وتستقبلك الشمس وتختال في ملابسك الفرحة...

أم مطر

- تعالي يا حبيبتي يا شام ، اكتبي

لم تسأل شام ما ستكتب، وما ستملي عليها أم مطر، ولم تنظر في عينيها، أمسكت القلم وانتظرت حروف أم مطر وكلماتها وما تحمله من فيض محبة، أو عاصف غضب أو مرهق مشاعر...

- اكتبي : ابني الحبيب الغالي! تعال بسرعة، استقوت علي أيدي الوحوش، واستفردت بي أنياب المفترسين، ارجع بسرعة قبل أن تتراكم على جبهتي آفات هؤلاء، ورطنات حقدهم، وموجات طمعهم.

عد بسرعة يا غالي! لا تنتظر أن يتسع الطريق لقدميك، ولا أن تسيل الممرات بهما إلي، احمل نفسك أنت ولا تسكب الراحة على طريق يقودك إلى كرامة أمك، لا تقبل أن تسكب الراحة في وعاء الغريب وهو يعد المشنقة لذكرياتك، ويشحذ السيف ليقطع أوصال معصمك الذي تدفع به عما تحب، تعال بسرعة ، فقد استأسد القط واستنسر الغراب في المنطقة 10

تعال بسرعة ، ولا تقبل أن تزهر البسمة في قلبك وهو مهاجر، ارجع وانكأ ما تبقى لي من حياة وافتح النافذة لما تبقى لي من أنفاس ونظرات فرحة...

ارجع حبيبي مؤتزرا بما أحمله لك من حب، وبما زرعته فيك من أشجار زيتون وعنب وممرات ترابية ورائحة حقول ونوار لوز، ارجع كما علمتك كيف يرجع الدراق كل عام مشرقا سكريا مزهوا بنفسه، عد إلي فقد اغرورقت عيناي بالأحلام والأدعية

شام

أمي الحبيبة الغالية،

اليوم هو العاشر من شهر اللوز، مرت السنة ثقيلة علي لكنني صابر مصمم على الوصول إلى نهاية الشوط ، ثابت في تحدي الصعاب والتعب

لن أترك أم مطر مهما كانت النتائج، لن أتركها لهؤلاء الوحوش فهم يعلنون ليلا ونهارا أنهم يعدون أم مطر مرحلة لازمة للحياة الفضلى، مرحلة وستنتهي...

أمي الحبيبة استولى الذكور على كل شيء أسماءنا وأعمارانا وملامح وجوهنا وجردونا من كل ما يمكنهم الوصول إليه فينا، صرنا كالألعاب في أيدي الأطفال

استولوا على أحلامنا وتحكموا فيها، ووجهوا حياتنا حتى تناسب رغباتهم وشهواتهم

أمي الحبيبة، عودي بسرعة فقد صارت المنطقة 10 منطقة ذكورية كل ما فيها مخصص لخدمة الذكورة، وكل ما فيها مستنسخات عن نموذج واحد هو قصر العميد وملابس العميد وشارع العميد وحديقة العميد. كل ما في المنطقة 10 يا أمي، هو مستنسخات من حلم العميد. أمس أسرَّت لي أم مطر بأمر جد خطير

قالت لي: يا شام، الحلم بدأ ينضب ماؤه ، والوقت يسحب من تحت قدمي ما أخشى وقوعه. يا شام أمس جاءني حلم فسَّرته وما أظن أن للأحلام بعده حياة، فبعده ستخبو الأحلام

يا بنتي يا شام! إن حان وقته تغيرت ألوان الأشياء واختلط الماء بالماء وتشابهت في المصير الأسماء.

أمي الحبيبة

أمس جلست عند قدمي أم مطر، وأمسكت يديها وقلت لها وأنا أنظر في عينيها

لك عينان جميلتان ساحرتان يا أمي !

فقالت لي باسمة : أعرفك يا شام حين تريدين أن تقولي لي شيئا

وجزيت ابتسامتها بابتسامة أعرض مليئة بالحب ،قلت لها: افتيني في رؤياي

فقالت لي: ألا تخافين أن تتصلب نبضات قلبك فتصبحين مثل هؤلاء الذين يصطفون في الخارج

قلت لها بأني لا أخاف على روحي ونفسي؛ فأنا أعد الحلم جزءا من الحياة لا الحياة، وهم يعدون الحياة حلما فيبنون حياتهم على أحلام، ويهجعون بانتظار أن تتحقق لهم

- هات حلمك ؟

- حلمت أن السماء عائمة هائمة هائجة مائجة من ريح وماء ونار ودماء ، وأننا مسافرون فيها كأننا النسور وحولنا تتقافز الغيمات وتنقش الرعود في دروبنا الأيام، كأننا يا أمي يا حبيبتي، دخان، لا وقت كي نعيش لا وقت كي ننام..

انحنت أم مطر علي واحتضنت قلبي، ومسحت بأناملها خدي، ثم سحبت من عيني إلى وجهها علامات الحزن والقلق، وقالت بصوت متهدج مليء بالرحمة : هي هي يا شام! هي هي يا شام!

افتحي قلبك لاستيعاب المصير المحتوم واليوم المعلوم

العميد يريد

عبثا حاولت زوجة العميد ابنة لابسة القبعة إقناع أم مطر بالعدول عن قرارها، مع أنها استخدمت معها كل حيلة ووسيلة ومدت لها الجزرة وأرتها النار والسوط؛ فقد مدت لها كل ما يمكن أن يغريها وهددتها بكل ما يمكن أن يخيفها، وحذرتها وأوعدتها ووعدتها وبشرتها.

- تعالي معنا

ولم ينتظروا منها جوابا أو ردّا فقد أمسكوها بقسوة كما يفترس الأسد فريسته وجروها جرا إلى عميد المنطقة10

- تحملني على محفة وتجرني في الشوارع يا عميد ؟! سترى من مطر ما يسوؤك، سترون من مطر ما يسوؤكم ستندمون"؟!

- فسّري لي رؤياي لأعيدك إلى مهلكتك !

- لا يأتي التفسير بقوة التدمير وضخامة العضلات، لا يأتي التفسير بالقوة والإكراه وبعد الآه فذاك ينسيه طريقه إلى روحي ولساني ، وهو لا يأتي إلا إلى غرفتي ولا يخرج إلا منها !

قال عميد المنطقة 10 للمصطفين على جانبي الطريق إلى بيت أم مطر

ستذكرون هذا اليوم إنه يوم الحلم الأول يوم تحقق ما كنا نتمناه فقد استطعنا السيطرة على أحلامنا ستذكرون هذا اليوم لأنه أول الحياة

يومها ازدحمت غرفة أم مطر بالزائرات الحالمات والآملات المستبشرات فقد انتشر الخبر في المنطقة 10 أن مطر قادرة على تفسير الأحلام وأن ما تقوله عن أي حلم يتحقق ويتمثل ويتجسد...

في المعسكر

أمي الحبيبة

أمي الغالية الحبيبة الساعة تشفق علي من كثرة ما أستنهضها لتنتهي مدة التدريب وأعود إليك ، والليالي تتوسلني كي أنام فقد بدأت أفقدها صوابها فما عاد الليل في عمري ليلا ولا النهار نهارا فقد استويا عندي في زمن صامت ثقيل

أنا الآن على أبواب البندقية، تعلمت كيف أطرق بابها وأفكك طلاسمها، بت أعرف كيف أتنسم رائحة القوة فيها ومصادرها.

اتعرفين يا أمي أنا الآن أستطيع أن أصيب الهدف في إنسان عينه، وأستطيع فك البندقية عزيزة ،كما أحب أن أناديها، وتركيبها وأنا مغمض العينين...

أمي الحبيبة

لم يبق لي من هذه الصحراء إلا وداعها؛ فقد علقت على دعاء العودة وشنفت به أذني، ونقشته على لساني خارطة ورجاء وقصائد وكلمات، صرت موجة من بحر هائج في دمي ينادي العودة ويطلبها

أمي الغالية

أرسلي لي دفقة من روحك أتدثر بها من هذا البرد الساكن في الجهات، ابعثي لقلبي الدفء والأمان لعلي أبصر أين تقودني هذه الساعات الطويلة من الشمس والغبار والعرق والوحدة في هذه الصحراء اليابسة.

أمي الحبيبة

في المعسكر الغارق في لهيب هذه الصحراء تلازمني ذكرياتنا، وتلتصق بي ضحكتك وتنعشني بسمتك الندية، أحاول أن أستدرج رائحة عينيك كلما عصف الوقت الغاضب بي، وأستمطر دفق حنانك كلما انطفأ النبض في سلة عمري

هنا تحاول الصافرة أن تستولي علي فنحن بها ننام، وبها نأكل، وبها نستريح، وبها نركض، وبها نمشي ونتوقف ونعيش، صار الصفير لغتي الثانية.

الناس هنا طيبون ، هم مثلكم طيبون يملكون في قلوبهم رئات من حنان ورحمة، ولكن البؤس والجوع والغضب والحقد يأكل أيامهم ويستولي على أعمارهم

اعتدت قسوة التدريب بشمسه وغباره وتعبه وعرقه، ولكنني لم أتعود بعد أن أصبر على نقيق الضفادع الذي يصفد بعض ليالي بصداه

أفتقدك أمي وأحبك

ابنك المشتاق مطر

تفسير الأحلام

المرافقةُ المستطيلة التي دخلت غرفة أم مطر ورمت نفسها على الأريكة المتهالكة قالت لها يا أم مطر فسري لي أنني في حفلة كبيرة مع خالتي وخالي وعمتي وعمي وجارتي رقية وحولنا موائد تدور أكلوا منها حتى شبعوا وقاموا وأنا بقيت وحدي آكل وآكل ولا أشبع حتى لم يبق على المائدة غيري، وعيون الناس تراقبني بدهشة وإنكار

- أبنيتي لا تجزعي هذا الحلم يبشرك بالخير القادم الذي ستنالينه ولا تملينه ، بعد أيام يا بنيتي سيأتي دارَك السعد والفرح

سحبت مذيعة التلفاز المحلي سلك المجهار وثبتت رأسها قليلا وألقت نظرة فاحصة إلى وجهها ، ورمشت قليلا وابتسمت للكاميرا ثم توجهت إلى الشارع الرئيس في القرية، استوقفت رجلا تربع على وجهه شاربان معقوفان بثبات وقوة: ما هو حلمك الذي تبنيه لنا وتسهر على تنميته؟

ذو الشاربين : لقد فشل حلمي الأول قبل عام بالحصول على موافقة لجنة الأحلام والتفسير، وأنا الآن أحتفظ بحلمي سرا لكي لا يسرقه أحد من العالمين !

المذيعة بغنج ودلال: ما كان حلمك الأول ؟

- رسمت حلما يحدد لنا ساعات قليلة للنوم لنعيش أكثر في عمرنا.

مشت المذيعة في الشارع وهي تحاول استدراج الشباب الذين اصطفوا بصرامة على جانبي الشارع سألت شابا في العشرين ، لكنه لم ينتبه عليها، وأهملها آخر كان يردد الجمل التي سيقولها للمرافقة

لتفسرها أم مطر أما الكهل الأسمر الذي وافق على مقابلتها فكانت عيناه تسترقان السمع لنبضات جسدها المتموج في ثوبها الشفيف.

- يا سيد ما هو حلمك لبناء المجتمع؟

- أحلم أن يسمحوا للعائلات بإنجاب ثلاثة من البنات وسبعة من الصبيان، فقد بدأنا نشعر بالغربة والوحدة في مجتمع قلت فيه النساء.

ضحكت المذيعة ثم هزت جسدها بتباه واتجهت إلى طرف السوق فرأت أحمد الطائر فتوجهت بالمجهار إليه لتسأله عن حلمه، لكن مجموعة من أصحاب العضلات وقفوا في طريقها ومنعوها

قال رجل: أحلم أن يزيد فصل الشتاء شهرين.

وقال رجل طويل كان يوزع الضحكات في الشارع: حلمي سينال ثقة اللجنة، أنا أبني حلما قد تكاملت فصوله عن حي عائم في البحر أشجاره عالية، لا تسمع فيه لاغية، فيه عينان من ماء سلسبيل عليه أسوار عالية، وفيه من كل فاكهة أنواع وأشكال، ومن كل طير ما نشتهي ويطيب، وفيه من كل حيوان أسراب...أحلم بحي لا ذباب فيه ولا ناموس ولا صراصير ، ولا ضباع ولا جوع، حي كلنا فيه رؤوس.

سحبت المذيعة المجهار وركبت سيارة التلفاز

إعلان

أخي المواطن الحبيب

كيف تحلم؟

كيف توجه عقلك إلى منطقة الأحلام

كُلْ سبع حبات من العدس قبل النوم، وسبع حبات من القمح مع سبع حبات من الزيتون وقت الإفطار ثم افتح باب الدار على مصراعيه، ضع تحت فراشك وثيقة الشرف، وكرر ما تحب أن تراه مئة مرة ثم نم .

نم قرب النافذة واحرص على أن تكون مفتوحة

أحمد الطائر

الشاب الأسمر الطويل الذي كان يقف عند زاوية الشارع يعاتب الحالمين ويهاجم لجنة التوجيه والتفسير مهدد بالطرد والإبعاد عن المنطقة 10، أحمد الطائر هذا لقبه الذي ألبسه إياه أهل المنطقة 10 وعلقوا صوره على أسوارها وهم جميعهم يعرفونه كما يعرفون أسماءهم فهم ممنوعون من الاقتراب منه لأنه كما يقول العميد متمرد على قوانين الأحلام رافض لوثيقة الشرف،وهم كلهم يعرفون صوته ويميزون نبراته فهو يرتفع كثيرا في شوارع المنطقة 10 ولا يكاد يخلو يوم من صوته وهو ينطلق بين البنايات، وفي الممرات وفوق أسطح المباني العامة، وهو يهاجم هيئة الأحلام والتفسير ويهاجم تهافت الناس إلى تفسير أحلامهم ليعيشوا بها، ويهاجم تدجينها وتربيتها في مراكز التدريب كما تربى الأغنام والفراخ

أحمد الذي تتفجر عيناه غضبا وتحمر وجنتاه حدة وهو يخاطب الناس، لم يلق تأييدا أو تعاطفا ولا حتى انتباها على ما يقول، لم يعره شباب القرية أسماعهم ولا خفقت له يوما قلوبهم، ولكنه مع مرور الوقت وزمجرة الأحداث في المنطقة تبعته كثير من النساء، وصار يشكل خطرا معنويا على هيئة الأحلام، فقد كان معارضا شرسا ذكيا لتفسير الأحلام لأنها،كما كان يقول، ستجلب الخراب للأرض وستقتل في الإنسان الإنسان.

قالوا له: يا أحمد الحلم أساس الحياة، فقال : الحلم طرح ونتاج لا هدف نرسمه، يأتي عرضا ولا يأتي عنوة، يأتي حرا طريا رطبا عائما

غائما لنتذوقه لا لنعلقه كالوحوش، فهو ليس ذبيحة، خاب من يقتات بالحلم، يا أيها الناس إن الحياة والتعب هما الحل.

سألوه : ألا تحلم أنت؟

قال: بلى، ولكنني أعرف أن أحلامي إنعكاس وتنوير وإضاءة

- إن فسرنا لك أحلامك تحققت !

- لو حلمت بأن النجوم كلها تسجد لي، والشمس والقمر معها، فهل سأسعد؟

الحب هو الحل يا ناس يا بشر!

الجميع: الحلم هو الحل. ثم تفرق الجمع، ولكن واحدا منهم كان قد امتلأ حقدا وكرها لأحمد فهجم عليه بسكين وطعنه في ظهره، ولكن الإصابة كانت خارجية هتكت اللحم ولم تمس الروح هذا ما قاله لهم طبيب المنطقة 10

بقي أحمد في المستشفى أياما يعاني الوحدة والوجع، ولما خرج كانت آلامه كافية لايقاف لسانه

حاول جاهدا الوصول إلى غرفة أم مطر ولكنهم منعوه بقسوة.

قال للناس : أعددت حلما سيطيح بكل هذه الأحلام، وسيعيد الناس سيرتها الأولى، لن أيأس من تدمير الحياة التي بنيت على أحلامكم فهي حياة لا روح فيها .

وذات نهار سمعت شام حديثه وهو يموج في السوق، ورأت كيف فشلت محاولاته كلها للدخول إلى غرفة أم مطر أعجبها إصراره، ولامست قلبها كلماته، ووافق ما كان ينادي به ما كانت تراه وتعتقده.

أهل القبور

تنحنح عميد المنطقة 10

وتفرق الجمع

- اسمعي يا شام !

قلت لهم حينها إني أراهم كما أراكم، وأحادثهم كما أحادثكم، وأحكي لهم ويحكون لي، ويسمعون ما أقول ويضاحكونني وأمازحهم، وأشكو لهم ويشكون لي !

- أو يفعلون يا أمي ؟

- نعم يفعلون، هم يأتون دائما يأتون ليطمئنوا ويطمئنوني. يقولون لي دائما ستكونين بخير يا عائشة

- قلت لأهلي وجيراني ذلك لكنهم لم يصدقوني، بل اتهموني بالجنون، تصوري يا شام، قالوا عني مجنونة لأني حدثتهم عن زوّاري وضيوفي من أهل القبور؛ أمي وأبي وأخي وعماتي وأعمامي.

قالوا عني مجنونة، يا شام، عندما رفضت أن أخرج من قريتي إلا زحفا لتبقى رائحة الأرض عالقة بمسامات جسدي !

- أو زحفت يا أمي ؟

- نعم زحفت من عتبة داري في تل الرماح حتى طرف الشارع الرئيس الذي يقسم المنطقة 10 جهتين

-قالوا عني مجنونة عندما أخبرتهم قبل الرحيل الكبير عن عام الثلجة، وعما سيأتي بعدها من زلازل متتابعة،وكيف سيرث الشبح الكبير الأرض وما عليها بالعصا والنار. قلت لهم سيأتي وفي يده لظى

يحرق الكبير والصغير، ويأخذ منكم كل شيء، لن يبقي لكم شيئا، سيأكل الأخضر واليابس وستنتشرون في الأرض كنثار القمح في يوم عاصف.

وقالوا عني مجنونة عندما قلت هذا صوت أمي يقول لي يا عائشة انثري قلبك الكبير على أحلامهم !

يا شام منذ وصلت هذا البيت وأنا فيه ولن أخرج منه إلا إلى بيتي الذي زحفت منه أو إلى القبر!

يا شام أتذكرين يوم قلت لي متسائلة : ألا تحلمين مثلنا يا أمي ؟!

نعم أذكر يا أمي يومها قلت لي إنك ترين الحياة على حقيقتها فما حاجتي للحلم.أنا يا شام اكتفيت من الدنيا وما فيها، فما حاجتي لحلم مدجن ؟!

ديوان التفسير

تجمعت نساء المنطقة10 في غرفة أم مطر كل واحدة منهن تحمل في جعبتها مجموعة من الأحلام، ولما رأت أم مطر ذلك منهن قالت لهن يا حبيباتي سأفسر لكل واحدة منكن حلما واحدا لا أكثر، فاخترن الحلم الذي أشغلكن وأثر فيكن، ولا تركضن وراء بهرج الحلم وما يحويه من رفاه ومال، ابحثن عما يسند الروح ويقف أمام الحزن والعطش.

لم تسمح أم مطر لأي ذكر بالدخول إلى غرفتها، ومن أراد من الرجال أن يفسر له حلم فعليه أن يضعه بين أيدي المرافقات وهن مجموعة من النساء الحافظات الفاهمات العارفات الأمينات المؤتمنات.

فازدحمت غرفة أم مطر بالحالمات والمرافقات حتى أصابها الوهن.

وقفت شام في وجه الحشود،وقالت للأفواه المتزاحمة بصوت صارم حجري: بلطوا البحر، لن يدخل إلى غرفة أمي أكثر من ثلاثة أحلام في اليوم، بلطوا البحر يا مجلس المنطقة 10 صرخت شام في وجوه المرافقات المرهقة، والنساء الحالمات ودخلت غرفة أم مطر وغلقت الباب.

قالت إحدى المرافقات للعميد :خرجت علينا فتاة غاضبة صرخت في وجوهنا، وقالت لنا إن أم مطر لن تكلم اليوم إنسيا، وقالت لنا ارجعن خائبات، وقالت لنا إنها لن تدخل إلى غرفة أم مطر أكثر من ثلاثة أحلام.

- من كانت تلك البنت؟! ثم صاح غاضبا، يا بنات اعرفن لي من هي تلك البنت.

ولما رأى عميد المنطقة أن أم مطر مصممة على موقفها، ورأى جموع الحالمات وتعب المرافقات من كثرة الرجال الحالمين وازدحام الشوارع والساحات القريبة بأرجلهم وأحلامهم، رأى أن ازدحام غرفة أم مطر يجب أن يستغل خير استغلال، وأن الوقت قد حان لزيادة نفوذه ورسم خطوط سيادته ورفرفة علمه فوق بيت أم مطر.

فدعا مجلس المنطقة للانعقاد فاجتمع واتخذ قرارات سريعة تعالج مسألة الازدحام حول بيت أم مطر وتنظيم عملية الدخول إلى غرفتها وكان من قراراته :

- بناء مظلات تقي الحالمين من أشعة الشمس
- بناء حمامات عامة في الساحات الثلاثة التي يتجمع فيها الحالمون قبل التقاء المرافقات
- الترخيص ببناء بقالات في الساحات الثلاثة
- تشكيل لجنة تابعة لمجلس المنطقة 10 مهمتها تحديد أعداد الحالمين، وتسجيل أسمائهم، ورفع تقرير عن موضوعات تلك الأحلام.
- استيفاء خمسة تركلات رسوم نظافة وتظليل من كل حالم.
- استيفاء خمسة تركلات رسوم سقاية ورفادة من كل حالم.
- استيفاء خمسة تركلات رسوم تنظيم وتحديد حماية وحراسة من كل حالم.
- استيفاء خمسة تركلات رسوم مراقبة التفسير وتوجيهه.

سالم : هذه أختي !

ظل سالم سادرا في مشيه قاصدا فيه، يتناقل الخطوات المدهوشة المصدومة في الممرات الترابية التي امتلأت بالأسهم المرشدة إلى بيت أخته، وكم أربكه هذا الزحام المضمخ بالانتظار في الشارع المؤدي إلى بيت عائشة، وكم أثارت دهشته هذه الصفوف المنهكة المتراصة المنتظمة على جانبي الطريق العام الذي تنتصب عليه غرفة أخته أم مطر...

"كم تغيرت الحياة ! شتان بين المنطقة 10 عام الجرادة قبل عشرين عاما والمنطقة 10 عام الذكورة، "كنت تعرف كل حائط فيها يا سالم، والآن أنت تائه بين وجوه سارحة باهتة، ومبان وشوارع متطابقة لا شيء مختلف، كل الأشياء تطابقت وجها ولونا وعمرا وشكلا ولسانا وطعما، حتى المشاعر في هذه المنطقة تطابقت، كل الأشياء غدت جافة من كسور حياة صلبة محددة كرسوم كنتورية وخطوط في دفتر هندسة.

- وين رايح يا شب ؟

- إلى بيت أختي أم مطر!

- أم مطر أخت الجميع، وأم الجميع، فالزم الصف والزم الدور ؟

- يا حبيبي أنا أخوها أخوها ؟

- وأنا أخوها أخوها وذاك أخوها أخوها، وتلك التي تراها هي أختها، وذاك الطفل هو ابنها، كلنا أقرباء أم مطر أم المنطقة 10

- اسمع يا أنت، أنا سأدخل لزيارة أختي والرجل يقف في طريقي !

تفسير

- يـا أمي،حلمـت أن طيـورا ضـخمة تهـاجم المنطقـة 10 تحملنـا بمناقيرها وتطير بنا في السماء، ثم تلقي بنا إلى الأرض التي تفتح أبوابا كلها نار ودخان، ثم تحمل من تبقى منا إلى جزيرة نائية تملؤها القرود والكلاب.

قالت أم مطر: يا بنتي يا حبيبتي، لا تشغلي بالك، ولا تخافي، عيشي ما تبقى لك من حياة فالأمر سيطم ويعم.

- يا أم مطر!

حلمـت أنني في حفلـة كبيرة، ومـن حولنـا تجمعـت عيـون حمـراء وصـفراء وزرقـاء وخضـراء وألسـنة تمتـد وترتفـع، وتـدور على أطرافهـا أشـواك الصبار وفيها قنـوات من نـار، وتسـيل من جبهتي نبعتـان وبين عيني تقـف نملـة تخطـب في النمـل تقـول بصـوت رفيـع عميـق أحبـوا الحياة بالتضحية.. ومن بين أصابعي تتفجر عيون الماء وأنا في كل ذلك متكئة على طرف نهر جار، آكل كرزا أحمر وعنبا أحمر وتفاحا أحمر.

- لا تخافي يـا ابنتي؛ ففي داركم سـيجلس السـعد ليطفئ نـار الحـزن ويفـتح للفـرح البـاب، سـيظلكم خير وفير وهنـاء مقـيم، ولكـن ذلـك كلـه مرهـون بصـمتك خمسـة أيـام عـن الكـلام، وعشـرة ليـال عـن النـوم، ودفعك السيئات بالحسنات سبعة أيام، وابتعادك عن الغيبة شهرين متتابعين .

بات سالم ليلته في الجب، وحين تأكد لهم أن أم مطر هي أخته حقيقة ترفقوا به قليلا، وأعطوه موعدا قريبا واستوفوا منه رسوم التفسير والدخول وبقية الرسوم من غير أن يقف في طابور المنتظرين.

تدبير

قرار الحرب الذي اتخذته لجنة الأحلام لم يكن الأول فقد قادتهم تفسيرات الأحلام الى حروب وقائية كثيرة، ولكن لم يتردد مجلس المنطقة 10 في إعلان الحرب البرية على منطقة 9 الآن مع أن الحلم كان واضحا بأن المنطقة 9 ستلتهم المنطقة 10 مع أن العلاقة السياسية بينهما قوية وتربط المنطقة 10 بها صلات قوية كثيرة، هل هذا هو السبب أم لأن من أصابه الحلم قد بلغ من العمر عتيا، وهو بين الحياة والموت يهذي ويخلط، أم لأن الحرب السابقة على منطقة ج كانت قاسية مكلفة ألهت أهل المنطقة 10 عن الأحلام، أياما طويلة اضطرتهم فيها لقتل كثير ممن يمشي فوق الأرض

الغول

لماذا ضحكت أم مطر حتى بانت نواجذها عندما سألتها شام عن تلك الندبة التي كانت تتربع على ذراعها في صورة قارب وصياد ؟

لا أحد يعرف لم ضحكت، ولا أحد يعرف لم بكت بحرقة عندما سألتها شام عن تلك اللوحة التي تعلقها على الحائط، وتظل تمسحها وتنظر إليها بحب وشوق وفرح. ومع أن أم مطر تعيش في غرفة صغيرة بالية إلا أنها كانت تعتز بهذه الغرفة وتعتني بها كما تعتني الأم بطفلها: هذه الغرفة من ريحة الحبابيب

كانت الغرفة تمتلئ بأشياء كثيرة غامضة تلفت إليها النظر، ففي زاوية الغرفة عكاز من خشب الزيتون منحوت بعناية يستلقي إلى جانبه وابور الكاز بثقة وزهو، وفي الزواية المقابلة جاروشة من حجر البازلت ما زالت علامات التعب بادية عليها.

- قلت لك يا صغيرتي عن الغول وكيف أن أحلام طردتها عن بيتها في الجبل، وطردتها من القرية ولاحقتها بحبات الزيتون، فهامت في البلاد تفتش عن فرائس سهلة، وظلت تجول الكون غاضبة مما جرى لها في قرية أحلام حتى وجدت الملك الجبار صاحب القصور والأسوار

بيان رقم 10

اجتمعت في هذا اليوم لجنة التوجيه والتفسير ومجلس الحكم المحلي، وكبار الحالمين في المنطقة 10، وكبار متعهدي الأحلام لمناقشة جدول الأعمال، وقد تداعى إلى الاجتماع الطارئ الذي رئسه العقيد عدد كبير من وجوه البلد، وقد بدئ الاجتماع بالوقوف دقيقة صمت حدادا على عضو اللجنة الذي مات على فراشه كما يموت المريض

ثم ارتفعت راية الحلم في السماء على وقع النشيد الحماسي

قال العقيد: نحن اجتمعنا ها هنا كيما نرى في أمرنا، زادت ثرثرة هذا المجنون الطائر وبدأت تتفتح على كلماته وخطاباته بعض الذهون، وبخاصة عقول النساء، وقد جمعتكم لنبحث عن الطريقة السليمة للتخلص منه.

قال أحد الأركان: نحلم أنه قد رحل !

قال عضو المجلس:نحلم أنه مات !

قال آخر : نحلم أن لسانه قد قطع !

قال عضو في اللجنة : نحلم أنه فقد ذاكرته

واتفقوا على أن يحلموا أنه راحل عن المنطقة 10

تبنت اللجنة الحلم ودخلت إحدى المرافقات به على أم مطر

يا أم مطر حلمنا أن حميدان المجنون الطائر رحل عن القرية

أمسكت شام يد أم مطر وشدت عليها، فعرفت أم مطر أن شام لا توافق على تفسير الحلم وأن عندها ما تقوله لها عن حميدان، فقالت:

يـا بنتي غـدا، عـودي غـدا، وأحضـري معـك حلمـا غيره فقـد أفسـد حلمك تردد فيه!

شام

في كل صباح كانت شام تتسلق جدار الفصل الذي بنته البلدية حول بيت أم مطر، ومع أنه يكاد يغطي الشمس بارتفاعه إلا أنها كانت تتسلقه بسرعة وخفة فما أن تناديها أم مطر حتى تكون بين يديها تسلم عليها وتجالسها وتحادثها، ثم تعد لها الطعام وتنظف الغرفة وترحل.. كانت لجنة الأحلام والتفسير لا تعرف من يعتني بأم مطر وهي لم تتفق على إرسال من يقوم على رعايتها وتشيع بين الناس أن كائنات من الفضاء هي من يطعم أم مطر ويعتني بها...

سألت أم مطر الشام يوما: هل تحبين أن أفسر لك حلما ؟

لم ترد الشام

فأعادت أم مطر السؤال

لكن الشام لم ترد وظلت تبتسم وتمسح على رأس أم مطر.

- شام، ألا ترين أهمية الأحلام في الحياة ؟

- بلى، أرى ولكن انتظار الحياة على نسمة حلم لا يناسبني.

- أليس الحلم من الحياة ؟

- بلى، ولكنه يغدو عدوها إن صار مادتها.

- ولكن الحياة تغيرت للأحسن منذ بدأ الناس يحلمون وأفسر لهم أحلامهم لتتحقق

- بل صارت تسير بسرعة الى الهاوية، هذا تغير سريع لا يكشف عن حقيقة ما يبني من واقع

هذا علب من الشوق المعصفر بالخدوش

قلق الغريب على المقاعد عند نافذة القطار
سيل من الخوف العميق
يحوسنا وبلا رتوش
صوت يخرخش تحت أرصفة الحوار
بين ألسنة الخضوع
جسد تلاقفه الوحوش
تهمي على الخد المقدد دمعتان
- لم تبكين يا أم مطر ؟
- سنة تلاحق أختها والطفل كان،مرت عليه الذكريات، ألقت أساورها الثقيلة والعيون شقت يديه إلى الظنون، فاختار نافذة البطولة كي يعود إلى الأمان.

الغول والملك عرجون

- حكيت لك ما فعلت أحلام بالغول حين طردتها من القرية، والآن سأحكي لك قصة الملك عرجون المجنون.

- أنا أستمع وأنصت وبشوق لسماعها يا أمي !

- كان يا ما كان، يا حبيبتي يا شام، في سالف العصر والزمان ملك اسمه عرجون المجنون يحكم رعيته بالحديد والنار، وكان يطلب منها استشارته في أمور حياتهم كلها، ومشاركته أفكارهم قبل أن يقولوها، ويفرض عليهم أن يدفعوا للدولة ربع إنتاجهم من كل شيء، وكان لا يسمح للرجال أن يأتوا نساءهم إلا بعد موافقته، ويحدد لهم ما سيأكلونه في كل وجبة، ويجبرهم على لباس موحد لا يخلعونه أبدا حتى حين يستحمون، ويجبرهم على الوقوف كل صباح أمام قصره والغناء له بأغنية هو ألفها ولحنها وأجبرهم على حفظها :

أنت الحبيب وأنت كل حياتي
عش سالما يا مالك الجنات
يا عزنا يا صاحب الجولات
يا خيرنا يا واهب البركات
عش طيبا أنت النعيم الآتي
نفديك بالأرواح والخيرات
عش يا حبيب الكون يا فخر الدنا
يا عزنا يا صاحب البسمات

كان نومهم وصحيانهم بأمره، ومشيهم ووقوفهم بأمره، وكان لهذا الملك ابنة جميلة رقيقة محبوبة لم يعجبها حكم أبيها وظلمه للناس وتجبره فيهم، فقررت الهروب للغابة. وفي ليلة كان القمر فيها مصباحا منيرا هربت في خطة مدبرة، ومر اليوم الأول على غياب الأميرة والملك لا يدري ما يفعل وأين يبحث، وصار القلق يشرب معه من وقته ويأكل من دمه ولحمه وهو غير مدرك لما يجري من حوله، فهو منذ بلغته الخادمة بهروب الأميرة من القصر وهو يضرب أخماسا بأسداس، وقد بعث جيشه كله ليجدها ويحضرها، ولكن الأيام والسنين مرت وهم يذهبون ويرجعون بخفي حنين، وابنة الملك غائبة هاربة في الغابة، تعيش مع الحيوانات وتأكل من ثمر أشجار الغابة ونباتاتها.

أحبت الحيوانات الأميرة، وتعلقت بها، وحمتها وساعدتها على التأقلم والحياة، وكانت تنقل للأميرة أخبار أبيها، وقد حملتها أكثر من مرة لتراقب أباها من بعيد. كانت الأميرة حزينة على أبيها مشفقة عليه من ظلمه، متحسرة على فراقه.

عاش الملك في حيص بيص حزينا على ابنته التي هربت من القصر وبقي يجالس الليل ويبثه ألمه وحزنه حتى خاطبه عصفور وقال له : أنت حزين على ابنتك ولست حزينا على الناس الذين تتحكم بحياتهم، ألا ترى ما تفعل بهم عصاك، وكيف تفرقهم وتتحكم بهم؟" فقال الملك للعصفور : ولكني أفعل ذلك لأحميهم من الجوع !

فقال العصفور: حماية الناس من الجوع بهذه الطريقة يقتلهم ويعذبهم

فكر الملك بكلام العصفور وظل صدى كلماته يتراقص بين عينيه حتى رق قلبه فأعلن في المملكة أن الرعية حرة فيما تفعل، وما تقول وما تأكل وما تشرب، وأعلن أنه سيغير من أسلوب حكمه ليعم الخير والهناء والرخاء أرجاء مملكته ءوأعلن ندمه على كل تصرفاته السابقة، ووعد الرعية بحياة آمنة يأكلون فيها مما يزرعون، ولا يدفعون له أي ضريبة، ولا يجبرون على فعل شيء لا يريدونه.

عرفت ابنة الملك بتوبة أبيها فقررت العودة إلى المملكة للوقوف مع أبيها في هذا الوقت العصيب وجاءت الحيوانات لوداعها ووأرسلت معها من يحملها إلى قصر أبيها ولكنها حين دخلت أسوار القصر شعرت بأمر غريب وأحست بمخلوق يراقبها، فما إن وصلت عند باب القصر حتى علت أصوات مخيفة فيه فسارعت الحيوانات إلى إخفاء الأميرة عن الأنظار، وألجأتها إلى مكان عال مطل على القصر، وصارت تراقب القصر من بعيد. استأذنتها الحيوانات في مهاجمة من يحتل القصر لكن الأميرة خافت عليها ورفضت ذلك وطلبت من العصفورة أن تستطلع لها ما في القصر وتعرف ما يجري فيه : يا عصفورة يا أمورة هاتي لي أخبار القصر.

فطارت العصفورة بسرعة ووقفت دقائق على نافذة مطلة من نوافذ القصر، ثم رجعت إلى الأميرة وقالت لها:

العرض العملاق

من يشتري حلمي من يشتري حلمي

احصل على الخصم الأقوى في عالم الأحلام 50%

حلم بمواصفات العميد مع كفاله خمس سنوات، مع مخدات الأحلام نوع حلمنا، الجالبة للأحلام الحلوة.. مكفولة مدى العمر عدد 2.... بسعر 100 تركلة

فرشة قياس (180x200) مواصفات العميد :

1- سماكة الفرشة 40 سم.

2- أكثر من 400 مشروع حلم مكتوب على أطرافها

3- فريم يحيط بكامل الفرشة دائري من عصارة أوراق الأحلام.

4- طبقة عازلة للكوابيس

5- قماش نيتد قطني ضد العفن والوهم و الرطوبة و الحريق.

6- طبقة من الأحلام المضغوطة على كل وجه فرشة.

7- صور العميد على كل جهة.

تفسير

- حلمت أنني تحولت إلى ذكر!
- القوة فيك يا بنتي ومنك ولك !

قالت :يا أم مطر، "رؤيا تكررت في المنام حملتها.....
هل أسأل عن تأويلها؟
-هات حلمك!
- كنتُ في حقل من الذرة أجمع حبات المطر
كانت كل حبة تتحول في فمي بلسما وزهرا....
خرجتُ عند أول شهقة صبية في الحقل.
طاف إناء بين عيني...
حاولت إمساك رئتي لكنها بقيت تتنفس بفوضى
تسرب نبضي من بين عيني...
حدثت نفسي
هل أمسح الحزن عن عيني... هل أروي الحروف الآفلة بكذبة أخرى هرولتُ...
مطر غسلني، غيمة من أحرف برائحة التفاح التفت حول معصمي
أعطاني القمر وسامته،وحكايات النوم أعطتني أرواحها
عصفورة شقية أنا منكسرة الجناح والشفتين أرتعش بحبي وخوفي وشوقي وحلمي...

حملت قلبي كما حملت حلمي إلى شرفة عالية مطلة على الأشياء قبل أن تنام..

صرنا أنا وهو نراقب الساعة وهي تركض إلى حتفها.... ألقيته كما تلقي الطفلة الغاضبة دميتها

– قلبك الصغير معبأ بالحب يا بنيتي، سيكبر الفرح حينا في فمك ولكنك ستتعذبين بالفقد لسنوات طوال. ولن ينتهي حزنك حتى تضيء منابر دار السلام طريق البعث والنشور.

رسالة

تعرف شام أن قدميها تركضان بشغف وحب كلما نادت أم مطر يا شام لتناولها شيئا أو لتسندها وهي تقوم لقضاء حاجة،وتعرف أن يديها تخفقان بشغف. كلما فتحت رسالة من مطر لتقرأها، لكنها اليوم تحس بدوار عميق الأثر في النفس يلاحق عينيها، فقد أرخى المطر الذي بلل الأرض العنان لخيالها ليمتشق رائحة التراب الندي المخضب بطعم الخضرة والآمال، لكنها اليوم وعلى غير عادتها مشت وئيدا إلى غرفة أم مطر بعد أن تسلقت السور تدلف إلى الغرفة المشبعة بالخيال والحب والرحمة حتى استقبلتها أم مطر بصوتها المتماهي مع صوت الطبيعة في بستان على أطراف نهر باسم :

- أهلا يا حبيبتي أهلاً !

- كيف حالك يا أمي ؟

- في الحياة بخير بس من عبد الحياة !؟ وهزت رأسها وهي تنتظر سؤالا عن سبب تعكر مزاجها،

وهي تمسح على رأس أم مطر بحب :خير يا أمي خير ؟!

- من أين يأتي الخير وهذه الناموسة المعصعصة أم عصاقيل مثل عصاقيل أبو سعد لا تجعلني أعرف كيف ينام الإنسان؟

- أما زالت تضرب على الحيطان ؟!

- ما زالت تراقص الجدران، وتنفث الدخان، ما زالت تفتح للنار في عقلي ألف مكان، ما زالت وزادت!

- تضحك شام وهي تمسك بيد أم مطر..وهي تحاول إخفاء لهفتها،هل جاءتك رسائل من مطر؟

بصمت وبحركة فيها فرح كثير كبير سحبت مغلفا أبيض من عبها تناولته شام بسرعة ولهفة لم تستطع إخفاءها، وبعينين مبرقتين : متى وصلك ؟

- يظن مطر أن قلوب الأمهات يلهبها الحرف المطرز بالموسيقى والحروف عن الحنين والشوق !يا شام، في قلبي تعيش مملكة اسمها مطر بهمساته وضحكاته ووشوشاته.

قرأت شام : أمي الحبيبة يا غاليتي .... الخيمة العسكرية في الصحراء لا تقي من شيء وهي بيئة خصبة لتلاطم الذكريات فهي تمتص الحرارة في الصيف وتمتص البرودة في الشتاء، وكثيرا ما تقتلعها الرياح أو تغطيها الرمال، ولكن من فيها على سرر متقابلين يفتحون في كل ليلة عشرات الحكايات، فهي ملاذ المنهكين، فهذه خيمتي ملاذ لخمسة من لاجئي مخيم عين الحلوة يفيضون رقة وصفاء ودماثة لا يمنعهم التعب والعرق والإنهاك من تناول أطراف الأحاديث في كل ليلة.."

فكر مطر وهو يستمع إلى وقع خطوات رفاقه في الخيمة بسؤال أحدهم "عن حبه الأول.

" هل أحب ؟ لا أعرف، لكنني تعودت في الإعدادية أن أقف على ناصية الشارع بقلق وخوف وارتباك ونبض متدافع وأنفاس من كلمات

متقاطعة لأراقبها وهي تمشي من أمامي بثقة ورقة ولطف، كنت لا أرتاح إلا حين أراها تمر وصويحباتها من أمامي بمريولها المدرسي وبنطالها الجنزي، لا أعرف ما يسمى ذاك الشوق الذي كان يخزني، ولا تلك اللهفة التي كانت تحرقني، ولا ذلك الشعور بعدم التوازن الذي كان يربكني حين تغيب ولاتحضر ولا تمر من أمامي "

- لا أعرف والله فأنا لم أكلم فتاة قط!.

كانت أم مطر تعرف أن مطرا متعلق بابنة الجيران شام، وتعرف أيضا أن بنات الناس ما هي لعب وأن مطرا ما زال صغيرا على هذه القصص.

أمي الحبيبة، المطر عميق في الذاكرة، بقيت أيام لا أكثر وسأمتص الرحيق من يديك

ابنك المشتاق جدا جدا جدا...مطر.

"

أول الركض

هذا هو المعسكر إذن وهذه هي الصحراء رمال من نار وأجساد من عرق وغبار، لا مؤنس إلا روحك، ولا هواء إلا هبات من أطياف متعبة تهيج الحنين إليها، ولا حضن يشرب حزنك، ولا يد تربت على كتفك أو تمسح على شعرك لتمحو من عينيك الحزن، هذه هي الصحراء حيث لا صوت إلا صوت أنفاسك ترسم ما بعد الصحراء.

مشيت في الخيمة بقدمين من ارتباك وبخطوات مترنحة بالضياع والقلق والغربة، فتسمرت عيناني الصغيرتان على وجه أمي الأسمر المنحوت بلطف من حنان وحب ورحمة وقد اعتكفت فيه أسئلة عابسة حزينة عنوانها متى أراك ؟ فألقيت جسدي النحيل الواهن المتشقق من الشوق والحنين والغربة إلى ركن قصي في المعسكر، وتكورت على آهة ممتدة الزفرات تجمدت عيونها في الحلق، وكم حاولت مغافلتها لأنام لكنها بقيت تخزني كلما وضعت رأسي على الوسادة الإسمنتية

لكن طرقا رعديا على أبواب منامات الضباط سحبته من بين عيني النوم وتراكض بقية المتدربين إلى ساحة السرية.

ألم تعرفني؟ سألني الشبح الأسمر الطويل

- نعم؟

- أنا خالد الحيط !

- يا الله! أنت أنت ؟

أشعل سيجارته ونفث أنفاسه الدخانية في الغرفة

تذكرته في الكويت وهو ينفث المسافات والدنانير المتراقصة أمامه كأنه يبحث عن إبرة يخيط بها وجعه الذي بدا متناسلا منقسما على تقسيمات وجهه ونبراته

- كأنك لم تستطع الصبر أكثر !؟

- لم أستطع !

وأصبح المعسكر في لحظات غمامة من العرق والمتطوعين تقوده صرخات هنا وصرخات هناك وهتافات هنا وهتافات هناك :

فوق التل تحت التل إسأل عنا الريح تندل

معارك

وفي يوم من الأيام وبينما كانت تعمل في الحقل سمعت أصواتا متداخلة ترتفع وتنخفض تقترب منها فركضت إلى الصخرة العالية لتعرف ما هناك وما هي هذه الأصوات فشاهدت أهل القرية يسيرون في جماعات باتجاهها، فعرفت أن الغول قد هاجمت القرية، وأن من نجا من أهلها قد لجأ إلى الجبال هربا من أنياب الغول ومخالبها.

وصل أهل القرية بيت أحلام ووقفوا ينظرون إليها وهي تعمل في الحقل بجد ونشاط فقالوا لها يا أحلام أطعمينا فقد أكلت الغول كل ما لدينا، وآوينا، فقد دمرت الغول القرية علينا، ولم يعد لنا ملجأ نلجأ إليه !

نظرت أحلام إليهم فرأت وجوه الأطفال الدامعة المرهقة وعيون النساء المنكسرة فأشفقت عليهم

- ياه، كم هي متسامحة،ونسيت ما فعلوه بها وبأمها وأخيها، نسيت أنهم طردوها وتركوها مع أمها العمياء وأخيها العاجز الصغير ؟!

- نعم نسيت ! ورحبت بهم وأطعمتهم وسقتهم وآوتهم".

وفي اليوم الثالث قالت لهم أنا أستطيع أن أكفيكم شر هذه الغول ولكن بشروط

قالوا : اشرطي وتدللي !

- أن تسمحوا لنا بالعودة للقرية

- موافقون

- وأن تبنوا لنا بيتا إلى جانب بيت المختار

- موافقون

- وأن تخصصوا لنا راتبا نعتاش به مدى الحياة

- موافقون

قالت: هل هذا عهد ووعد ؟

قالوا : نعم هو عهد ووعد، ولك منا أن ننفذ بنوده كلها حين تنهين المهمة، طرد الغول من قريتنا.

ودَّعت أحلام أمها وأخاها، وأهل القرية يراقبونها ويتعجبون من جرأتها، ويتساءلون فيما بينهم عما حملت في كيسها.

- حملت أحلام الكيس المليء بالزيتون

وقالت باسمة : حبات الزيتون يا أمي! بحبات الزيتون !

ومشت إلى القرية، ولما وصلتها لجأت إلى مكان مطل على بيوتها رصدت منه حركات الغول، وما إن أطل الصبح حتى كانت أحلام قد عرفت المكان الذي ستهاجمه الغول، فوضعت فيه حبات من الزيتون، ووقفت في مكان فوقه مطل عليه وانتظرت الغول حتى دخلته فأسرعت إليه، ووضعت حبات الزيتون في كل زاوية منه ووضعت حبتين عند عتبة الدار وحبتين عند النافذة، ولما شبعت الغول من أكل ما في البيت من طعام وأثاث أرادت الخروج، وما إن وصلت الباب حتى واجهتها حبات الزيتون فتراجعت غاضبة والشرر يتطاير من عينيها واللهب ينتشر في أرجاء البيت من فمها، وزاد صراخها حين وجدت أن النافذة مغلقة بحبات الزيتون وبغضب من نار ودمار هجمت على

الجدرانر فحطمتها وركضت وطارت وقفزت وهي تصيح وتبحث عن واضع الزيتون ولكن أحلام لم تختفي هذه المرة وإنما...

- هل ستواجه الغول ؟

- نعم واجهتها بقذائف متتابعة من حبات الزيتون الذي في حجرها، وظلت تطاردها حتى أوصلتها سور القرية، وعادت أحلام إلى بيتها مبشرة مستبشرة

- وهل أوفى أهل القرية بما وعدوا ؟

- نعم يا شام، لكنهم بعد أشهر قليلة ظنوا أن خطر الغول قد زال فاستجابوا لرغبة المختار وهواه فتنكروا لما وعدوا، وطردوا أحلام وأمها وأخاها من القرية مرة أخرى.

- ويلي عليهم !

- عاشت أحلام مع أمها الحياة بجد ونشاط، وظلت تزرع وتحصد وتأكل فرحة سعيدة بما تحصل عليه من عرق جبينها.

وفي يوم من الأيام رأت دخانا كثيفا يتصاعد من القرية، وسمعت أصواتا هائلة مخيفة مرعبة تخرج من بين دورها فعرفت أن الغول قد عاودت الهجوم على القرية، وأن أهل القرية سيأتون مرة أخرى طلبا للمساعدة.

- لو كنت مكانها لما قبلت فهل ستقبل؟

- نعم يا شام، لقد قبلت وبالشروط نفسها، ومن غير كفيل، لكنها طلبت من أهل القرية أن يفصلوا لها بيتا كبيرا من حديد لا يستطيع أي كائن أن يخترقه، وطلبت أن يدهن البيت ليشبه بيوت الحجر وفعلا فصلوا لها ذلك البيت!

- أين كان أهل القرية يفصلون البيت الحديدي؟

- تحت الأرض يا شام، تحت الأرض! وظلوا يعملون في بنائه وتفصيله أياما طويلة يصلون فيها الليل بالنهار لا ينامون، وحين انتهوا من بناء البيت جروه إلى مكان قريب من بيت المختار وركضوا إلى الخنادق

لما رأت أحلام أن البيت انتهى بناؤه، وأن الأوان قد حان لوضع حد للغول، ولطيش أهل القرية وتجبرهم أغوت الغول وأغرتها لدخول بيت الحديد حين وضعت فيه بقرة صفراء ودجاجة حمراء وكبشا عظيما

اشتمت الغول رائحة اللحم فقفزت باتجاهه ودخلت البيت، وبدأت بالتهام الطعم وابتلاعه فركضت أحلام إلى النافذة فوضعت عليها حبات من الزيتون، وعند الباب وضعت حبات أخرى، وغلقت الباب عليها وأقفلته بالمفتاح، ولما أنهت الغول التهام الطعام أرادت الخروج من البيت لكنها فوجئت بنار الزيتون أمامها فضجت وتراجعت إلى الخلف، ثم ركضت باتجاه النافذة ففاجأتها حبات الزيتون فزاد غضب الغول، وصارت صرختها زلزالا هز القرية كلها.

حبست أحلام الغول في البيت الحديدي، وأما هي فتعيش الآن على ما يخصصه لها أهل القرية من معاش وطعام.

كانت أحلام تعرف أن المختار جارها يكرهها ويكره أمها، ويتحين الفرصة لطردها مرة أخرى، ولذلك كانت تقذف الغول بحبة زيتون كلما شعرت أن كيده لامس قلوب أهل القرية، وكان صوت الغول كافيا ليصمت المتآمرون.

في المعسكر

استقبلني على باب المعسكر شاب أسمر لوحته الشمس ورسمت على وجهه قلادة من التعب، قادني إلى غرفة من صفيح وطين

:تفضل ادخل! قال الرجل الكهل الذي احتضن وسادته، وتعلق بسيجارته المستهترة، ونظر إلي بعينين لوزيتين.

جلست أمامه وهو ينفث الدخان في وجه روح هشة مرتبكة كانت تقول :أينك أمي ؟

- اسمك ؟

- مطر محمد وحشي

ضحك كثيرا وأنا أسكب أمامه لغتي الطرية الناعمة وحروفها المنحوتة بعناية من رقة وندى،

واستمرت الضحكة عالقة بفمه حتى مع حرصه على لقائها على الحائط المغطى بصور القادة

-أريدك فحلا شرسا قويا لا تلين، فالحياة هنا قاسية لا طراوة فيها ولا راحة ولذلك سأسميك أبا غضب سيناديك الجميع أبا غضب، فهيا يا أبا غضب، اذهب مع أبي جعفر ليعرفك بأبي شكل وبقية المقاتلين.

لم يطل ارتخاء جسمي على المقعد الخشبي في غرفة أبي شكل المدرب العراقي الطويل؛ فقد اختفت

آثار البسمة المفتعلة التي رسمها على وجهه وهو يستقبلني في فصيله، وعلق بلساني هتاف ملتهب من أنفاسه ونظرته الكثيفة اليابسة :

عاصفة عاصفة عاصفة

نار لهيب حارقة

شعارات تركض معنا ونركض معها أو نركض وراءها في ساحة مثقلة بنا وبالغبار المختلط بأنفاس المتدربين ولهاث الحروف المنهكة المرهقة على أفواههم

وأخيرا جاء الليل وكنت أظن أن النهار في هذا المعسكر الصحراوي لا ليل له، واجتمع الليل كله في خيمتي فوق عيني، وعبثا حاولت النوم لكن النجوم بقيت تشاكسني، وهبات الكرى ظلت تعاندني حتى استخرجني صوت أنثوي كسر صمت الليل الصحراوي، وتربع القرفصاء على صدري، وصار يقص لي حكايات تنز حبا وخيالا مشوقا.

تفسير

- أمي أتذكرين تلك المرأة التي جاءت وفي يدها سلة تين ؟

- نعم أذكرها، فهي التي جاءتني قبل شهر ويومين بوجه منقوع بالخوف وقالت لي :

يا ستي، أفتيني في وحل يغرقني، وشمس تحرقني، وظل يأتي ويروح، ولسان ينزف وقلب يتقافز أمام عيني كله جروح..ما بها يا شام ؟

- يومها قلت لها : لك الله يا بنتي! فإن الوحل مرض، فإن مسك كان المرض في جسمك منهكا له متعبا لأضلاعه، وتضطرك آلامه إلى الاستدانة فإن الطين مرض ودين، فإن سلمت من الوحل عن ملابسك أو عن جسمك كله فإنك تسلمين من الآثام والمعاصي التي كنت سترتكبينها، ويحاربك في ذلك قلبك، ولسانك، لكن المرض أقوى منك لأنه يمنع عنك الشمس ويغرقك في ظل الغرف.

- نعم أذكر، فالطين عنوان المرض ويشير للمعاناة في الأحلام.

- مسكينة هي فقد أوهنها المرض وأضعفها فلم تعد قادرة على المشي

بحزن وألم : مسكينة مسكينة !

قبل أن تحضر شام كانت غرفة أم مطر ملاذا آمنا لعصفور مرتجف أضعفه الهروب من الصيادين وأوهنه الخوف من الموت بطلقاتهم، عندما رأته أم مطر ابتسمت وهي تقول له ألا تعلم أن من

دخل بيت أم مطر فهو آمن ؟!تناول العصفور الوجبة الإنسانية الأولى منذ عرف الإنسان من بين يدي أم مطر، وهي تغني له أغنية المذياع :

عصفور طل من الشباك وقال لي يا ستي

خبيني عندك...خبيني دخلك يا ستي

قلت له إنت من وين قال لي من كل البلدان

قلت له جاي من وين قال لي من بيت الجيران

قلت له خايف من مين قال لي من ظلم الإنسان

قلت له طريقك وين قال لي ضيعته وهربان

خبيني عندك... خبيني دخلك يا ستي

وقد وقف طويلا على شباك غرفتها يغني لها أغنيات الحب والحرية، ولما دخلت شام سألتها أم مطر: أتعرفين ما كان يغني لي العصفور ؟

- كيف لي أن أعرف لغة الطير!

- كان يزقزق لحنا ورديا طريا رطبا عن الخير والجمال والحب، هو لا يتكلم مثلنا يا شام لكنه يشعرك بما يريده، قال لي إنه مبسوط، ثم نظرت إلى النافذة المشرعة وقالت : عندما تكون النافذة مشرعة لا بد أن نرى الشمس أو نحس بآثارها. لم تحزري ما كان يغني لي "

قالت شام بحب: لا يا أمي، لا أعرف !

كان يغني أغنية إفريقية مشهورة :

هجرة عصافير الخريف

في موسم الشوق الحلو

هيج رحيلا مع الغروب
إحساس غلبني أتحملو
وكتمت أشواق الحنين
ورجعت خليت الدموع
ينسابو... مني وينزلو

منعت دمعة شام من النزول طرقة على باب بيت أم مطر أدخلت صبية في العشرين، في عينيها سكن الرجاء،وتنفس الأمل الصعداء، وعلى جسدها ارتشف الحزن كاسات الحياة، وفي شفتيها تلاطمت الحروف، وهي تحتسي الحروف اليابسة المرسومة لها، كانت تقدم حرفا وتؤخر آخر، كأنها تحاول افتتاح كلامها بمفتاح يليق.

- خير يا بنيتي ؟

- يا ستي، حلمت أن داري تطير بأشجارها وأسوارها وأثاثها، والناس من حولي يتحولون إلى مسامير تثبت قدمي، ويجيء في لحظة صوت من السماء من ورد وندى ويغني لنا:

سائليني حين عطرت السلام كيف غار الورد و اعتل الخزام
وأنا لو رحت أسترضي الشذا لانثنى لبنان عطراً يا شآم

وبعدها اشتعلت في الجبال النيران وقُذفت بيوتنا بحمم بركانية، لكنها كانت بردا وسلاما علي، حتى جاءت يد النهار فأيقظت الجبال من سباتها فتمطت واهتزت، وهاجت الطيور وماجت حتى انتزعني من حلمي صوت طفلي ينادي ماما" وسكتت الصبية وفي عينيها أسئلة مستفزة تبحث عما ستقول أم مطر.

- لا تخافي يا بنتي !

سيرث النهار ليلك، ويشع حظك، ويبتسم لك اللون الصافي في الأفق، سترحلين من منطقتنا إلى أرض كلها حب وسلام، تأكلين فيها مما تزرعين، سيمر شهر أو أكثر قبل أن يتحقق حلمك فهو مربوط بذيل قط بيتي"، فإن رأيت بيتك يتزلزل ويهدم وأشجارك تقتلع اصبري ولا تيأسي، ولا تتركي بيتك مهما صار، فالغربة ذل، والغريب يا بنتي في المنطقة 10 لا وزن له، تطيره الريح، وتتلاعب به النسمات.

إعلان هام

اجتمعت لجنة التوجيه والتدريب والتفسير في المنطقة 10 في الخامس من شهر الموز من عام الذكورة، وقررت ما يلي:

أولا : يمنع على أي مواطن تفسير حلمه عند أم مطر قبل استشارة لجنة الأحلام والتفسير وأخذ رقم الدور

ثانيا : يمنع على أي مواطن المرور من جانب السور الأيمن والأيسر لبيت أم مطر

ثالثا: يمنع على أي أنثى تفسير حلمها عند أم مطر.

رابعا: يسمح لكل ذكر بالغ عاقل بتفسير حلم واحد في السنة.

خامسا : على كل من تفسر له أم مطر حلمه تسجيل اسمه وحلمه وإعلام لجنة التفسير بما قالت له عن حلمه.

إعلان هام

قررت لجنة التوجيه والتفسير والتدريب في جلستها الليلة في يوم الخامس عشر من شهر الموز من عام الذكورة ما يلي:

على الذكور البالغين المتزوجين تخصيص حلم لإنجاب أنثى

ترقم البنايات في المنطقة 10 بالأرقام والحروف والشوارع تسمى بأسماء الحالمين الأوائل

لقاء

ماذا تفعل لقاء، البنت السمراء التي تعودت أن تجعل من الحقول ساحة حقيقية لإثبات القدرة والقوة ورسم الجمال، البنت الطويلة المجدولة من تين ورمان وزيت وزيتون،البنت التي رسمت حياتها وأحلامها ومستقبلها على حبها العميق لسالم؟ ماذا أفعل وما أقول لهؤلاء الذين اضطرتهم أحلامهم إلى تزويج الفتيات وفق تفصيلات الأحلام وارتباطاتها وارتدادتها، ولابتعادها العميق بالذكر حتى كادت تؤلمه، هل أستسلم لقرار لجنة الأحلام بتوزيع بنات القبيلة على ذكورها بالتساوي والعدل، هل أتخلى عن أحلامي وطموحاتي لمصلحة المنطقة 10 كما تطلب اللجنة !؟

ثم ما هو مستقبل المنطقة 10 أليس حاضرها معبرا عن مستقبلها؛ فالأساس واضح، والقواعد ثابتة ألم تصبح الحياة في المنطقة 10 كما هي الحياة في الثلاجة "؟

مشت لقاء وهي تقلب بين شفتيها الخيارات، وتمر بين أعين الذكور المطوفين على عتبات بيوتهم المتطابقة حتى في ألوان الكلاب التي تقف بشراهة أمام أصحابها " سيقولون جنت وما عليه ؟فليقولوا ما يحبون وما يريدون، فلن يخيفيني ما ينتظر البنت التي تتمرد على قرارات اللجنة، فما الفرق بين سجن صغير وسجن كبير، ما الفرق بين زوج بأنف ذكوري وأب يتخلى عن ابنته بسهولة لتبقى المنطقة 10 بقبليتها وأحلامها وذكورتها، سأقول لا، نعم سأقول لا "

قالت لي لقاء قبل أن تلقى في غيابة الجب :أكثر نساء المنطقة 10 سيهربن، لن يطول انتظاري لشريكاتي ففي غيابة الجب متسع لهن فأنا أعرف الأنثى حين تعرف طريقها نحو الحياة، سيهربن بحثا عن الحب الحقيقي، وعن الدفء الصادق، وعن السكينة وهن يتذوقن عبارة أم مطر" المكان الخالي من الحب ثلاجة " كن يرددنها كلما التقين.

لقاء في الجب منذ ساعتين ونصف وأحاديث المنطقة 10 تحوم حول جبها، وأصوات كثيرة مختلفة متنوعة تضطرب فوق أرض المنطقة 10 تلاقت فيها همسات ووشوشات وصرخات وهمهمات وتمتمات في بوتقة من نار وبرد وغضب ورضى ورفض وتعاطف .

إعلان

تعلن لجنة التوجيه والتفسير في المنطقة 10 عن عقد الدورة الثانية في التدريب والتحكم بالأحلام في مقر اللجنة الساعة العاشرة من صباح كل يوم ثلاثاء ابتداء من الخامس من شهر الفول، فعلى الذكور الآتية أسماؤهم الالتحاق بالدورة في الموعد المحدد، وكل من يتخلف سيعرض نفسه للعقوبة التي نصت عليها المادة 14/5 من قانون العقوبات لعام الذكورة الأول

قرية العميان

كنت أغني عندما دخلت علي شام، شام تعرفني وتفهمني في حالاتي كلها ولذلك سألتني عما يغضبني ويحزنني : ما الذي يغضب أمي الحبيبة وما الذي يحزنها لتغني؟

غليون كذب من قال غليون كلو من كيد النسا

رحبت بها وهليت وأجلستها في صدر البيت وقلت لها يا شام أسمعت حكاية الغول أم عيون وساع؟

فقالت لي لا لا لم أسمعها منك يوما فاحكيها لي !

هذا يا شام كان يا مكان في سالف العصر والزمان قرية لا يسكنها إلا العميان أو من يغطي عينيه فكانوا إن ولد لهم مبصر وضعوا على عينيه ما يجعله لا يرى شيئا حتى إن بعضهم أفقد أولاده القدرة على الرؤية !

ويلي، لم يا أمي، لم يفعلون ذلك ؟

– خوفا من الغول أم عيون وساع !فقد كانت تحول كل من التقت عيناها بعينيه إلى حجر ثم تلتهمه.

– يا ويلي ما أقساها ؟

– لم تبق هذه الغول من شباب القرية واحدا فقد كانوا يرفضون الخضوع لمبدأ العمى وقانونه الصارم فيلقون بأنفسهم إلى ساحة معركة غير متكافئة لا يملكون فيها ما يقيهم بطش هذه الغول !

– وهل بقيت الغول تسرح وتمرح في القرية من غير أن يوقفها أحد عند حدها ؟

– لا لا طبعا ! فقد كان في القرية فتاة جريئة جميلة اسمها لجين الندية صاحبة البسمة الرقيقة والعقل المفكر،وقد آلمها أن يظل أهل القرية معصوبي العيون أو في ظلام العمى الدامس نهارا وظلام الدنيا ليلا فقررت أن تخلص القرية من هذه الغول القاتلة.

– وكيف فعلت ذلك يا أمي ؟

– لجين كانت فتاة ذكية صبورة صاحبة حيلة، وضعت لعبتين كبيرتين لهما عينان واسعتان، واحدة في الساحة الكبيرة ساحة الاحتفالات وواحدة في أعلى الجبل المشرف على القرية ودهنتها باللحم والشحم والدم وربطتها بحبل متصل بحفرة عميقة في الأرض ليس لها منفذ ثم اختفت تحت الأرض لتراقب الغول.

– وهل حرصت على ألا ترى الغول عينيها ؟

– نعم لم تنس أن الغول ستحولها إلى صخرة ثم تلتهمها إن هي رأت عينيها.

– ألا تلتهم الغول إلا من رأت عينيه ؟

– نعم هذه طبيعة في هذه الغول لا تأكل إلا ما تجمده من عينيه !

– وما حصل للعبة يا أمي ؟

– بقيت لجين مختفية تحت الأرض ساعات حتى أطلت الغول تمشي وئيدا مستهترة آمنة مطمئنة، وحين وصلت أول القرية اشتمت رائحة اللحم فتحركت في جسدها خلايا الشراهة والافتراس، فركضت مسرعة تبغي اللحم والشحم حتى وصلت مصدره فأرسلت نظرة إلى عيني اللعبة ولكن اللعبة لم تتحرك ولم تلتفت لها ولم تتأثر بنظرتها فظنت الغول أنها تواجه وحشا متمثلا بفتاة فليس من أحد من البشر بقادر على مواجهة عيني الغول فكشرت عن أنيابها واستخرجت من زعانفها كل حاد، ومن حراشفها كل قاتل، واستلت مخالبها وهجمت على اللعبة، وما كادت تصل إليها حتى سحبتها لجين إلى قاع الحفرة العميقة واختفت هناك حتى لم تعد الغول تستطيع رؤيتها، وبقيت تحوم حول البئر ولجين تراقبها من مخبئ مشرف مطل ولما رأت أن الغضب استوطن جسم الغول وصاحت صيحتها العظيمة.

تركتها تحوم حول البئر، وركضت إلى الجبال، وقرعت الأجراس التي علقتها على الأشجار، فركضت الغول إلى الجبال لتلتهم قارع الأصوات ولما وصلت أولها اشتمت رائحة اللحم والشحم فركضت إلى مصدره فرأت ما حسبته وحشا منتصبا أمامها فأرسلت إليه نظرة جارحة لكن اللعبة لم تتأثر ولم تتحرك ولم تتجمد! فقالت الغول: هو يريدني أن أهاجمه وسينال ما يريد فهجمت الغول على اللعبة بمخالب حادة وحراشف قاتلة وزعانف جارحة فتاكة، ولكن لجين سحبت الحبل فغاصت اللعبة في قاع الحفرة العميقة فوقفت الغول فوق الحفرة وحامت حولها ساعات طويلة وهي تصيح وتضطرب، وبقيت

هنـاك تنفـث غضـبها في الفضـاء ولجـين تراقبهـا وتعـرف أنهـا أفقـدتها صوابها.

تركـت لجـين الغـول في دوامـة مـن الغضـب، وركضـت إلى القريـة ونصـبت اللعبـة ودهنتهـا بـاللحم والشـحم، وقرعـت الأجـراس فركضـت الغول إلى القرية، وحامت حول الحفرة ساعات، ثم ركضت إلى الجبال وحامت هناك حول الحفرة سـاعات طويلة غاضبة، وبقيت على هذه الحال أياما طويلة لا تأكل ولا تشرب حتى وهن جسمها ولم تعد قادرة على الطيران ولا المشي فطلبت لجين من أهل القرية أن يصنعوا لها لعبة عظيمة كبيرة ففعلوا فأخرجتها وعلقت يديها بالحبال ومشت بها باتجاه الغول فلما رأت الغول أن الوحش قد كبر وطال وضخم خافت خوفا عظيما فهربت إلى الجبال وهناك كانت لجين قد أعدت لها كمينا محكمـا فقـد جعلـت اللعبـة فـوق قصـب هـش فـوق الحفـرة العميقـة ودهنـت اللعبـة الصـغيرة بـاللحم والشـحم وغطتهـا بهمـا، وركضـت إلى الأجراس فقرعتها، وحين وصلت الغول أول الجبل اشتمت رائحة اللحم فركضت إليه ورأت اللعبة الصغيرة المغطاة باللحم والشحم تنظر إليها فقالـت لنفسـها هـذه ابنـة الـوحش الـذي هـاجمني في القريـة لأقتلنـه بابنته، فهجمت على اللعبة، ولكن اللعبة لم تهرب هذه المرة، وإنما بقيت واقفة بانتظار الغول، وما إن وصلت حيث اللعبة حتى تكسر القصـب الهـش فهـوت فـي الحفـرة العميقـة ورأس اللعبـة بـين فكيها،وركضـت لجـين إلى حيـث الحفـرة وصـارت تلقـي فيهـا التـراب وساعدها أهل القرية حتى طمروا الحفرة كلها.

إعلان هام

اجتمع مجلس الأحلام والتفسير والتوجيه والتدريب في المنطقة 10 في صباح يوم الأحد من شهر الفلفل من عام الذكورة 2 الساعة 9 بتوقيت المنطقة 10

لتدارس القضايا والمشكلات الآتية:

الزواج والزوجات

ترقيم الشوارع

النفايات والأبواب

وقت الفراغ

الطموح الزائد عن الحد الذي ظهر على وجوه بعض الشباب

الأمل والحياة

توقف أم مطر عن تفسير الأحلام

أبو رجل مسلوخة

ضحكت أم مطر حتى بانت نواجذها وهي ترى الخوف يلتصق بأنفاس شام ونبضات قلبها حتى صارت كأنها، وهي تقطف الكلمات بارتباك، فزاعة كرتونية، قالت يا أمي هناك شبح مسخ أبو رجل مسلوخة يجول في شوارع المنطقة 10 في كل ليلة، في وقت غير معلوم، يلتهم من يجده في طريقه من إنسان أو حيوان، دمر الزرع وجفف الضرع، وأوقف الحياة

وضعت شام رأسها بين يديها خائفة حزينة فأمسكت أم مطر بها من يدها وجرتها نحوها، ثم وضعت رأسها في حجرها.

شام بدلال : أتضحكين من خوفي وفزعي ؟!

أم مطر وهي تمسح على شعر شام وتنزع الحزن والخوف من عينيها: بل أسخر من الشبح نفسه، يا شام يا حبيبتي، الشبح هدية عميد المنطقة 10 للعسس ليتزاوروا بينهم بهدوء وسلام،

شام بانبهار ودهشة : يعني هو ليس حقيقيا ؟

- ألا ترين أنه يمشي وعسسه في الليل في طرقات المنطقة وأن عسسه وحرسه لا يفارقون باب بيتي!

- ألا ترين أنه يطرق باب بيتي كل ليلة أكثر من مرة لأفسر له حلما من غير موافقة لجنة التفسير والتدريب ؟ ألا ترين إلحاحه واستماتته لأفسر له حلم الخلود، وأنا أرفض وهو يهدد ويتوعد؟!

ألا ترين أن الشبح فكرته ومكره ليكون هو أولا ؟

شام بعينين متسعتين على كل ما يدهش ويصدم: هي قصة مدبرة وحيلة مرسومة بعناية ؟!

أم مطر تهز رأسها بثقة وارتياح

- ولكن؟

- ولكن ماذا؟

- سمعت قصصا كثيرة متنوعة مختلفة عما فعله الشبح بأهل القرية سمعتها من شيوخ وصبايا وأطفال وكهول وشباب !

- مثل ؟

- حدثتني صديقتي ربى قالت :

كنت عائدة من بيت ستي في الليلة الماطرة في عام الذكورة، وكانت الريح زمهريرا، والأرض تحت قدمي تذوب بمياه الأمطار، والأشجار تصيح وتستغيث وهي تحاول أن تظل ثابتة في مكانها متشبثة بالتراب المبتل، كانت أمشي بخطى رخوة قلقة حين انفجرت الأرض أمامي ونزل البرق وصرخ الرعد بمن يمشي في الطريق، وتشققت الأرض وخرج من بين شقوقها خيط من دخان أسود التف حولي فلجأت إلى سور بيت الداية أم حكم، لكن الخيط الأسود ظل يلتف حولي ويحوم ويدور ويتلاطم حتى استوى مسخا من قطعة لحم شفافة ممتدة من عين وفم وأنياب مغلفة بهالة نارية زرقاء، وهجم علي وضربني ضربة ألصقتني بالسور فاستندت إليه ورشقت المسخ بحفنة من التراب فتراجع، فنثرت عليه التراب مرة أخرى فتراجع، وصار يصيح ويفتح فمه

على اتساعه، فنثرت عليه التراب فصرخ صرخة ثقبت الأرض فابتلعته وكأنه لم يكن..

أم مطر:أها ثم ماذا!؟

وقصة الداية أم الحكم نفسها مع الشبح انتشرت في القرية ودارت على كل لسان، وهي قصة مرعبة مخيفة سمعتها أنا نفسي منها نفسها، قالت كنت عائدة من الحقل أحمل سلة تين وسلة صبر، كانت أشعة الشمس تتمشى بين السماء والأرض، وتتقلب بين يدي الغيم وصوت ارتطام خطواتي بقصب المكانس في الممر الترابي يطرب أذني وينعش روحي، فصرت أحاول ضبط أنفاسي على وقعها، ولكن صرخة من نار وغضب هزت المكان، فطوفتُ بعيني لأرى مصدر هذا الصوت الرهيب فرأيت أشلاء بقرة تتلاطم في فم هلامي كأنه رداء الشيطان، وفي ثوان قليلة اختفت البقرة بعظمها ولحمها في ذلك الفم الواسع المخيف، وصارت عيناه تدوران في المكان تبحث عن إنسان، وكلما رأى رجلا التهمه وابتلعه، وحين وقعت عيناه على عيني هجم علي كأنه البرق، فوقعت من يدي سلة التين ومن غير وعي مني ولا قصد رميته بحبة منها فحرقت حبة التين ما أصابت من جسد الوحش الهلامي فتراجع، وحاول مرة أخرى الاقتراب، لكنه لم يجرؤ على تخطي حاجز حبات التين التي تناثرت حولي وصارت في لحظات كالحراب في صدر ذلك الوحش المسخ فتراجع خطوات كثيرة وهو يصيح ويزمجر حتى انفتحت الأرض وابتلعته

وثيقة الشرف

وثيقة شرف مجتمعية لترسيخ المبادئ والثوابت وتأكيدها في المنطقة 10

نظراً لما للمجتمع في المنطقة 10من دورٍ بارز في صنع التاريخ ودفع الطامعين والغزاة ولما له من تأثيرٍ بالغٍ في تسيير شؤون المجتمع في المنطقة 10 وتسهيل أمورها ورفعتها وتقدمها في مختلف نواحي الحياة ومكانته وصيته النَّفَّاح على المستوى الكوني مما يقتضي العمل على تفعيل دوره الإيجابي في مجال الدفاع والأمن وتنظيم شئونه لتهيئته للمشاركة الفاعلة في الرأي وصنع القرار، وللحفاظ على ثوابت المجتمع وتحسين أداء المنظومة الاجتماعية في مواجهة التحديات التي تواجه المنطقة 10.

إن البلد يمر بظروفٍ استثنائية في ظل التهافت على تفسير الأحلام المتناغم مع رغبات وأهداف المناطق المجاورة التي تتطلع لاحتلال المنطقة 10 و تدميرها وإعلانها الحرب على كل من ٍ يحملُ نهجاً حراً مقاوماً لمشروع الاستعمار والهيمنة على شعب المنطقة 10وقرارها ومقدراتها.

ولما للعمالة والخيانة من دورٍ تخريبيٍ تثبيطي تيئيسي تسبب في تشجيع الأعداء والدفع بهم إلى شنَّ عدوان على مبادئ الحرية والحلم الراقي المدروس المسير في المنطقة 10 وسعي هذه العمالة ومعها أصابع المنافقين لتعطيل وجود حدود وروادع قائمة توقف المتلاعبين بالأحلام و بالثوابت والمبادئ القائمة على هذه الأحلام وسيادة المنطقة 10

وأمنها واستقرارها، وحرصاً على مكانة المنطقة 10 وسمعتها ولما لها من موروثٍ حضاري وتاريخٍ نضالي طويل ولتحصينها من التفكك والاختراق ولسلامة النسيج الاجتماعي الحالم ولما تقتضيه المصلحة العامة فإنَّ الموقعين أدناه وهم رؤوس المنطقة 10 ووجهاؤها وأعيانها وأركانها وشيوخ عشائرها ممثلو المنطقة 10 الوحيدون قد أقروا وضع هذه الوثيقة لردع المتلاعبين بأمن المنطقة10 واستقرارها وبمبادئ المجتمع وقيمه المثلى. وتقوم الوثيقة على المرتكزات الآتية:

أولاً: مبدأ التكافل الاجتماعي

نحن أبناء المنطقة 10 الأحرار نعلن أننا سائرون على طريق الحلم الموحد شعبا واحدا، وأننا قائمون وثابتون على مبدأ الإيواء والإيثار والإنفاق والتفسير المقنن الممنهج المدروس لأحلام الشعب في سبيل رفعته ورفع مستوى رفاهيته ونصرة الحق في الحياة الكريمة المنعمة ودفع الظلم وليسمع العالم منا ويرى من تكافلنا وتراحمنا ما يؤكد انتسابنا إلى أسلافنا الحالمين الأقحاح الذين نشروا العلم والحب والخير والحق المؤسسين لهذه المبادئ ووفقاً للتشريع الذي أصدرته لجنة الحلم والتفسير بإعلانها في صحيفة الأحلام في بيانها رقم 10 (هذا البيان رقم 10 من مجلس التفسير والأحلام في المنطقة 10 إلى المؤمنين بالحلم طريقا للسعادة المتمسكين به وسيلة للحياة الأجمل والأحلى والأكمل والأفضل أهل المنطقة 10 ومن تبعهم ولحق بهم وسار معهم في دربهم الصاعد

أولا : الحلم هو الحل وشعب المنطقة 10 بكل من فيه شعب يؤمن بالحلم طريقا ودربا يانعا للرفعة والحياة الكريمة، وهو شعب واحد على كل متخاذل يبغي التخريب أو يبتغيه، وعلى كل عدوانٍ أو فسادٍ بين أبناء الشعب.

ثانياً: إعلان البراءة

نعلن نحن ممثلو قبائل المنطقة 10 المنتمية إلى الجد الأول صاحب النهضة الحلمية وصاحب الفضل في إنشاء هذه المنطقة وبنائها على الأحلام وقيم الحق والخير والجمال بأن ذممنا بريئة ووجوهنا بيضاء من مرتكبي أي مخالفة لما اتفقنا عليه ودعمناه وشاركنا في كتابته وأيدناه ونشرناه في هذه الوثيقة ومتمسكين بحقنا في الرد على المعتدين والمتجاوزين على القوانين وفق القوانين، ومهما كلف ذلك من خسائر وتضحيات.

ثالثاً: العقوبات القانونية

نطالب نحن ممثلو الشعب بتطبيق القانون وإنزال العقوبات الرادعة ضد أي مخالف لما اتفقنا عليه ومعاقبة المحرضين والمؤيدين لهذا المخالف وفق ما نصت عليه أحكام القانون في المواد 107/106/105/104/103/102، من قانون العقوبات رقم(10) لعام الذكورة ، وغيرها من المواد العقابية وما ورد في قوانين الصحافة والمطبوعات والأحزاب ومنظمات المجتمع المدني، وكذا سن أو تحديث قانون ينص بوضوح على تجريم الخونة والعملاء وتجريدهم من الحقوق المالية والوظيفية

رابعاً: العزل الاجتماعي

أجمع ممثلو المنطقة 10 أن الخونة والعملاء والمخربين مدرعين بالعيب وملبسين بالجرم والعار حتى وإن تمت تسوية أمورهم وتوبتهم وتلحق بهم العقوبات المتعارف عليها في الوسط القبلي ومن ذلك عدم إيواء العائب وعدم قبول التعامل معه فإنه لا يعامل العائب إلا عائب، وأنهم مجردون من حقوق الأخوة والحمى والمواطنة وأي مكانة في المجتمع، ويُعد جُرمهم المرتكب بغياً على الشعب كما هو في المصطلح الشرعي وأعراف القبائل وناموس العقلاء.

خامساً: أمن ساحة المنطقة 10

كل قبيلة مسؤولة عن حفظ أمن واستقرار ساحتها وحدود الوطن لكل قبائل المنطقة 10، وعلى القبيلة أو الجهة التي ينتمي إليها العائب (الخائن او العميل او المخرب) اتخاذ كل الإجراءات اللازمة ضده مع الجهات الرسمية أو الشعبية.

سادساً: مبدئ الغرم

يلتزم الجميع بإحياء مبدأ الغرم الشعبي بالمال والرجال، وكل ما تحتاج إليه قوات الدفاع لردع الغزاة والمعتدين واستئصال مناشئ الشر والخطر الذي يهدد المنطقة 10.

سابعاً: الصلح

تُقر قبائل المنطقة 10 صلحاً عاماً بتأجيل كل الخلافات والنزاعات بين جميع أبناء المجتمع باستثناء من أشارت إليهم الوثيقة بالعقوبات آنفاً، مع لزوم تشكيل لجنة من مختلف الجهات القانونية والقضائية

والقبلية لفرز القضايا العالقة وتصنيفها ووضع الحلول المناسبة لها بالطرق المنصفة والعادلة وبالتنسيق مع الجهات الرسمية.

ثامناً: تفعيل دور المجتمع

ضرورة ترتيب شؤون مجتمع المنطقة 10 وتنظيمه ليكون قادرا على حماية أمن ساحته وحل مشكلاته ومتابعة أموره والقيام بدوره في كل المجالات الدفاعية والأمنية والتطويرية والإعمارية والاقتصادية.

تاسعاً: الوثيقة ميثاق شرف دائم

بعد التوقيع تعد هذه الوثيقة ميثاق شرفٍ في السلم والحرب وسارية في كل ظرفٍ وزمان تجسيداً للمبادئ والقيم والثوابت

عاشرا :أم مطر

- أم مطر هي خط أحمر لا يجوز إجبارها على تفسير حلم.
- لا يجوز لكل ذكر طرق باب بيتها أكثر من مرة في السنة
- تمنع نساء المنطقة 10 من تفسير أي حلم ويكتفين بإبلاغ أزواجهن عنه
- يمنع تفسير أحلام الأطفال
- لا يجوز لأي كان عرض حلمه على أم مطر قبل أن يعرضه على اللجنة وينال الموافقة على تفسيره ويأخذ رقما ويسجل حلمه في سجل أحلام الدولة
- لا يجوز أن يفسر الحلم مرتين
- لا يحق لأي كان أن يعرض حلما ليس له

- تسيَّر أحلام الشباب لمصلحة المنطقة 10 وتتولى لجنة تفسير الأحلام ذلك

- تنشأ لجنة تسمى لجنة تفسير الأحلام تقوم على :

الإشراف على الأحلام التي يحق لأصاحبها أن يفسروها

تستوفي رسم 200ريكالة عن كل تفسير حلم

تتولى الإشراف على تدريب الشباب على الأحلام الموجهة

أمي الحبيبة

أمي الغالية، كلهم يسألون عن سر علاقتي بأم مطر وكيف استطعت نيل ثقتها والتأثير فيها، بعضهم يظن أنني ساحرة وآخرون يظنون بي الظنون، وكثير منهم يتساءل عن كيفية وصولي إليها وإلى قلبها، هم لا يعرفون أنني ابنتها بالرضاعة، ولا أريدهم أن يعرفوا ذلك، أريدهم أن يخوضوا ويحاروا ويتساءلوا،لا أطمع منهم أن يفهموا ويعرفوا أن أم مطر هي أمي، وأن لها تاريخا جميلا معك، لا أحد يعلم أنها مشت معك من بيت الحكمة حتى رأس الحلم

أمي الحبيبة

اشتقت لك كثيرا، متى أراك، متى تعودين ؟ فالحياة هنا لا تطاق !

أكتب إليك والمنادي يدور في الشوارع والساحات يحذر ويتوعد ويهدد ويمنع ويوجه ويشدد ويؤكد. لم أكن أعلم يا أمي أنه سيأتي يوم على المرأة في المنطقة 10 لا تساوي فيه تريكلة، المرأة في المنطقة 10 لا تساوي سوى حلم مترنح بين الحقيقة والخيال، منعونا من زيارة أم مطر، ولكنني سأزورها دائما لن أتركها وحيدة في مواجهة أحلام الذكور الباذخة، سأظل أتسلق سور العزل لأصبح عليها وأكنس لها العتبة من آثار أقدام الحالمين..أمي الحبيبة علمتني أنني امرأة، وأنني الأمل وأنني أجمل ما على الأرض ومادة الحياة فيها، وأنا لن أتنازل عن ذلك العطاء الرباني، ولن أقبل أن أكون شيئا من أشياء بيوت الذكور

أمي الحبيبة،

أمس نادتني أم مطر وسألتني عنك وعن أخبارك، طلبت مني أن أحضر ورقة وقالت لي اكتبي يا بنتي.

لمن أكتب يا أمي ؟

اكتبي لعميد المنطقة 10

" يا عميدنا الفهيم، ورقة التوت يأكلها المن، والسراب الذي يوقع الفراشة في النار يتوهج

في عينيك، لا تختر طريق النهر فهو يسير دائما إلى القاع، لاحق الشمس فهي أمام عينيك، استوى العنب في بلادي وانتهى موسمه، فلم أعد قادرة على احتساء قهوة الأحلام ولا امتطاء صهوتها لم أعد قادرة على تفسير ما يحلم به ذكوركم فبين عيني الآن تشهق روح أنثى من لحم ودم فعش تحت الشمس...

صحيفة المقاطعة

دخل سالم فرحان غرفة أخته مبتئسا حزينا غاضبا محتدا يكاد الشرر يتطاير من عينيه الدامعتين، سلم عليها واحتضنها بقلق فبكت على صدره،وتقافزت من عينيها دموع وحشرجات متقطعة؛ فمنذ عشرين سنة وهي بانتظاره فمنذ عشرين سنة خرج مع ثلة من الفلاحين شكلها أبناء القرية بعد هجمات الذئب المتكررة لقتل الذئب الذي أكل طيورهم وأغنامهم وأبقارهم، وأرعب أطفالهم، وأتعبهم واعتدى بوحشية على نسائهم وبيوتهم وافترس أحد أطفال القرية.

– منذ ثلاثة أيام وأنا جالس على رصيف الانتظار تتناقلني الغرف وتتقاذفني الأسئلة تدفعني يد إلى يد وعين إلى عين ووجه إلى وجه، يسجلني هذا ويرسمني ذاك ويتفحصني هذا ويتملاني ذاك وكأنني قطعة نقدية مشكوك فيها... حتى سمحوا لي أن أقطع تذكرة الزيارة، وأجلس في غرفة العبور وأمر من درب الحبور !

– ألم تقل لهم إنك اخي !

– بلى ولكنهم لم يصدقوا أو صدقوا وطنشوا ؟!

– بغضب متفجر: مرور ورسوم ؟!

– نعم، رسم عبور ورسم تفسير !

وبصعوبة استطاعت أن تتغلب على ضعف رديء سرى في جسدها واتكأت على يد أخيها ومشت حتى النافذة ونادت: يا شام ! يا شام !

لم يطل انتظار أم مطر فقد تدافعت حروف شام من خلف السور في رد سريع متقطع : نعم يا أمي نعم يا أمي !

وبسرعة تسلقت الجدار وهبطت بخفة في باحة بيت أم مطر!

-هل صحيح ما سمعته يا شام ؟!

- وما سمعت يا أمي ؟

- رسوم عبور ورسوم زيارة ورسوم تفسير ؟!

- نعم يا أمي، ولكن كما تعلمين نحن النساء لا نعرف عن أمور التفسير شيئا، فنحن ممنوعات من الاقتراب من منطقة الحلم، وممنوعات من الحلم، وليس لنا وجود ولا دور في غرفة المرور، ولا في ممر الحبور!

- اكتبي يا شام اكتبي !

نادى عميد المنطقة 10 الخدم، والحشم، ومعاونيه، ومساعديه، والأعيان، والأركان، والشباب والغلمان، وأعضاء اللجان، والعسس، والحرس، ووقف على المنصة وفي وجهه خوف عميق وقلق منتشر وارتباك ظاهر، وقال :

اليوم وصلتني رسالة من أم مطر تقول فيها إنها توقفت عن تفسير الأحلام، ولن تستقبل في غرفتها أي إنسان ! وأنا حلمت أمس بليل داج، وجبال ذات أبراج، ونساء في هدوج تمشي بها الرياح الهوج، وعلى جانبي الطريق نار وأشجار، وصور ورود معلقة بأسنان من نار، وأزهار ذابلة منحنية، وصحارى مقفرة، وتلال مستنفرة، تخنق فيها البقرة أختها، والتيوس متطاحنة، والحمير متشاحنة متصارعة، والكلاب في

حيص بيص واقتتال دائم مستمر، وكلهم في معركة تلاحق القافلة، وضحكة مستهزئة تأتي من بعيد فيها قرع طبول، وصرير أبواب تمر من فوقنا، فأفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون ؟!

قال واحد منهم : يا عميدنا وتاج رؤوسنا، ما تعلمنا تفسير الأحلام يوما ولا اقتربنا من منطقته، ولا سمح لنا بدراسته، فنحن ما عرفناه ولا أخذناه، فكيف نفسر ؟!

قال آخر: ما بالها هذه الأنثى العجوز الواهنة ؟!

قال آخر: سنجبرها على التفسير إجبارا ؟

قال آخر: سنرغمها على تفسير أحلامنا، وإلا دُمرنا ودمرت حياتنا !

وخرجت من الجموع صرخات مؤيدة توحدت وتفرقت وتداخلت وتباعدت حتى أسكتتها يد العميد

: أنتم لا تذكرون ولا تعرفون أن القانون لا يسمح بذلك، ووثيقة الشرف منعت ذلك أيضا؟

قال رجل : فليحرق الشرف !

قال آخر: فليغير القانون أو فليحرق ؟!

وبقي القوم يلقون أصواتهم ويقذفون الهواء بآرائهم حتى ارتفعت يد فتمايلت لها الرؤوس وانحنت لها الجباه، وأغلقت الأفواه.

- دعوني أفكر وأتدبر لعلي أجد مخرجا ولهذه الضيقة فرجا، فاذهبوا الآن إلى بيوتكم ولا تشعلوا شمعة، أو تذرفوا دمعة، ولا تجلسوا قرب جدار، ولا تستعينوا على هذا البرد بنار، وإن نمتم فناموا واقفين غير متقابلين، وغطوا عيونكم بقماش أحمر والبسوا من الثياب

مرقوعها ومقلوبها، واحذروا أن يسمع لكم صوت وإلا جاءنا الموت، ولا تفتحوا أبواب زرائبكم، ولا تكتبوا بقلم وإلا عاشرتم الندم، وضعوا في كل زاوية من بيوتكم بصلتين وبيضتين، وعلى كل نافذة عرقا من نعنع بري، وعلى أسرتكم ضعوا القدور، وعلى سجادكم اسكبوا المياه وأشعلوا البخور وغيبوا ثلاثة أيام لا تمشوا فيها في شارع، ولا تسيروا على بلاطتين متقابلتين، وإن مشيتم في بيوتكم فاجعلوا رؤوسكم بعيدة عن مرماكم، وعيونكم بعيدة عن مبتغاكم، وفكروا بغير طلبتكم، وإياكم والنساء فإنهن الداء

الزيارة غارة

أمي الحبيبة

اليوم سمحت لي لجنة التفسير والتدريب بزيارة علنية لأم مطر، الساعة على الحائط والجدران عميقة في الروح، وسور أم مطر يحيط بي ويلتف حولي عيني، وصوتها ينظر إلى حقيبتي ويفتش في دفاتري، وصوت طرقات غائرة في الروح يستفزني، أنشغل حينا بمراقبة الحالمين الذين يسيرون بتثاقل واضح في أزقة تنفتح على أسواق مبرقة مهللة باسمة الوجه يحملها الأمل، وأنتقل في بقية اللحظات إلى المسافات المتراقصة بين الحجارة المرصوفة بتعب المارين والعابرين وبدمائهم.."أنا أمام الحاجز الخامس الحاجز الأخير في مرحلة العبور إلى غرفة التفسير قبل الدخول إلى بيت أم مطر، كانت شوارع المنطقة ساكنة هامدة كلحظة إعدام، لا صوت ولا روح ولا حركة ولا لون ولا رائحة، كانت المنطقة 10 خالية من الحياة فقد اختفت أشجارها، وتطابقت أبنيتها وأسوارها وشوارعها، حتى تشابهت علي، فمشيت غريبة الوجه والرائحة واللون والطعم، كانت المنطقة 10 جثة إسمنتية باردة جافة

أعرف يا أمي لم سمحوا لي بزيارة أم مطر، يريدون أن يستخدموني جزرة يستعطفون بي ويهددون،فقد حاولوا مع أم مطر كثيرا لعلها تتراجع عن موقفها والعودة لتفسير الأحلام، لكنها كانت تستقبلهم بقولها أترون هذه التينة، أنا ربيتها شبرا شبرا، وفترا فترا حتى صارت كما ترونها، قال لي جارنا قبل أن أزرعها لو اشتريتها أكبر لأكلت من

ثمرها هذا العام، هو لم يعرف يوما لذة تربية شجرة تين، ولا طعم أن يقف لمراقبتها وهي تنمو وتورق وتزداد خضرة وتكبر حتى تطاول السماء

ثم نظرت إلي وقالت يا شام ؟

فقلت نعم

: أسمعت حكاية الغول الأكولة ؟

قلت: نعم!

قالت: فاسمعي ما فعلت أختها، وما جرى لها :

كان يا ما كان في سالف العصر والزمان بنت اسمها حنين السريعة، تعيش في قرية في أعالي الجبال المطلة على مملكة والغيلان، وسميت بالسريعة لأنها كانت مكلَّفة بمراقبة الطريق المؤدي إلى القرية وتحذير أهل القرية من هجمات الغيلان، فكانت كلما رأت غولا ركضت بسرعة البرق لتحذر أهل القرية ليختفوا في خنادق عميقة تحت الأرض تحميهم من الغول وشرها..

وفي يوم من الأيام ركضت حنين لتحذر أهل القرية بسرعتها المعروفة المشهورة الممدوحة لكنها لم تستطع أن تسبق الغول التي كانت قد عرفت وقدرت كيف يهرب منها أهل القرية، فسلكت طريقا مختلفا لا تستيطع حنين أن ترى من يمشي عليه، ووصلت الغول القرية وهاجمت الناس وقتلت من قتلت واستطاع القليل من أهل القرية النجاة بأولادهم وبعض حاجاتهم، وبقوا في خنادقهم تحت الأرض حتى نادتهم حنين وقالت لهم اخرجوا فأنتم بأمان

أما حنين فقد آلمها ما حصل لأهل قريتها وحزنت كثيراً، ولامت نفسها كثيرا عليه، وتعذبت لصور الأطفال والنساء والرجال وهم يتحولون في فم الغول إلى لقيمات طرية، ولم تستطع النوم وظلت تركض في الحقول والجبال وهي تصيح وتبكي.

وفي يوم من الأيام وبينما هي تركض في الحقول، أوقفها صوت قادم من أعماق الأرض يقول لها توقفي توقفي توقفي

فتوقفت وسألت بغضب، من هناك ؟

قال لها أنا مارد الجبال ؟

ما تريد يا مارد الجبال، ألا يكفي ما أنا فيه ؟

لا أريد منك شيئا ولكنك تزعجينني بركضك هذا فمنذ أيام ووقع خطواتك فوق رأسي يمنعني من النوم وأيقظني من سباتي العميق.فما قصتك يا أنت ؟

وحكت حنين لمارد الجبال قصتها بلغة باكية ونبرات حزينة فدمعت عينا المارد، وخفق قلبه لها.

- آسف، لن أكرر الركض في منطقة نومك، سأعود وأحبس نفسي في غرفتي لعلي أعرف كيف أنتقم من هذه الغول القاتلة اللئيمة !

وبصوت رج الأرض وهزها قال المارد لحنين: تعالي معي أعلمك كيف تقتلين الغول وتكفين الناس شرها. ولكن إياك أن تعلمي الناس ما تعلمته مني وإلا استخدموه لقتلي وقتل إخوتي.

- لن يعرف الناس ما جرى بيني وبينك، أعدك بذلك وأقسم عليه!

وأخذ المارد حنين معه إلى أعماق الأرض، إلى مقره،وهناك دلها على ثلاثة طرق لقتل الغول؛ المرآة والزيتون والتمر، قال لها اخلطي معجون الزيتون بمعجون التمر، ثم ضعي قليلا منه على المرآة واذهبي إلى مملكة الغيلان بثقة وبثبات، وادخلي الباب الأول فلن يكون عليه حرس، واختاري الوقت المناسب لتدخلي الباب الثاني المؤدي إلى غرفة ملكة الغيلان، وحين تدخلين ضعي قليلا من المعجون على جبهتك وادهني به وجهك وأصابعك، واحملي قليلا منه بكفيك، ثم أمسكي الغول من ذيلها، ولا تتركيها حتى تحترق، فإن هاجمتك بقية الغيلان فانثري عليها حبات من هذا الخليط بعد أن تجعليه على شكل كرات، فإنها إن أصابت قتلت وحرقت وإن لم تصب منعت وحمت.

شكرت حنين المارد وطلبت منه أن يحملها إلى أقرب نقطة من مملكة الغيلان ففعل.

ودَعت حنين المارد وشكرته ومشت في طريقها إلى مملكة الغيلان متجاوزة الجبال والسهول والأودية العميقة، وظلت تمشي ليلا نهارا حتى وصلت الباب الأول فدخلته بسرعة عجيبة، وركضت إلى الباب الثاني فوجدت عليه حارسين من نار يتحركان بسرعة ونشاط حول غرفة الملكة، وبقيت حنين صامتة تراقب من بعيد حركة الحارسين وطريقهما وأسلوبهما حتى عرفت أنهما في لحظة معينة يسرحان ولا يلتفتان، وينسيان أنهما حارسان، ولما تأكد لحنين أن تلك اللحظة تتكرر كل يوم مرتين قالت تلك اللحظة هي لحظتي، فاستغلت تلك اللحظة ودخلت غرفة الغول فوجدتها على سريرها تشخر ودم

ضحاياها من فيها يسيل، فدهنت يديهاووجهها بالخليط ووضعت على جبهتها قليلا منه ثم أمسكت الغول من ذيلها فخرجت منها صيحة هزت الأرض وصارت تتقلب متألمة متوجعة وحنين ممسكة بها لا تفلتها، وما هي إلا لحظات حتى دخلت الغيلان فاتحة أفواهها كاشفة عن أنيابها اللامعة وأسنانها الطاحنة القاطعة الناهشة،وصارت تصرخ وتصيح وتحاول الاقتراب من حنين التي أمسكت بملكة الغيلان من ذيلها، وحنين تدفعها عن نفسها بحبات الزيتون وترميها بالخليط فاحترق بعضها وبقيت أخريات تصيح وتتهدد وتتوعد لكنها لا تجرؤ على الاقتراب من حنين.أما ملكة الغيلان فقد احترق ذيلها ولم تعد قادرة على الحراك فأمسكتها حنين من شعر حاجبيها ودهنت وجه الملكة بالخليط فاحترقت من فورها. ولما رأت الغيلان ذلك هربت مسرعة خارج الغرفة تاركة ملكتها نارا ولهبا.

سمعت حنين الغيلان وهي تتوعدها بالثأر المهلك، والموت الزؤام، فقالت لهن : ومعي هذا لن تنالوا منا

الحب

لم تستطع أم مطر إخفاء دهشتها واستغرابها من تحية شام لأم العبد جارتها الشقراء المبتسمة التي توزع التين كل صباح على المارة والمتدربين في مركز الأحلام، كما لم تستطع أن تخفي ما رأته من نيران فقْدٍ متدقة في عيني الجارة

- "حلما جميلا"؟!

شام بضحكة رقيقة شفافة: نعم يا أمي هذه تحيتنا الجديدة التي أقرتها لجنة تفسير الأحلام !

- هل بتنا نتمنى الخير حلما ؟!

وضعت شام يدها على خدها واكتفت بهز رأسها والإبحار في عيني أم مطر المليئتين بالنور والعمق اللامتناهيين "ويلي! هل صرت لعبة في بطنها آلة تسجيل أقول ما يملى علي، وما يسجل لي، وما يحكى لي، هل غسلوا دماغي بماء أحلامهم ؟!

الطفل الذي بين يدي أم مطر تثاءب مرتين وهي تمرر كفها برهف وردي فوق جسده، فرحت أمه حين نام واختفت عن جهته عيون التعب وعلامات الوجع المر، ناولت أم مطر الطفل لأمه وهي تقول لها يا بنتي الطفل فاكهة الحياة وزينتها، إن لم تستطيعي أن تكوني جزءا من روحه وقطعة من جسده ونفسا بين أنفاسه لن تسطيعي تربيته، وودعتها "

- يا شام !

- نعم يا أمي

- الطفل الذي كان يتثاءب بين يدي لم يكن مريضا، ولم تكن في جسده أو في روحه آثار عين،

كان يبحث عن طعامه الروحي الحب والحنان والأمان!

- هل يستطيع رابح تدريب الطلاب على أحلام توفر الحنان والدفء الروحي لهذا الطفل ؟

- لا أدري يا أمي لكن الحلم الذي يبحث عنه الرجال هو حلم مادي لا روحي ؟

- لن يستطيعوا يا شام لن يستطيعوا، أعطني يدك يا شام

ناولت شام كفها لأم مطر بدلال وتثن، وتفحصت أم مطر راحة شام الناعمة الندية وما فيها من خطوط متقاطعة متشابكة وعلامات وتطريزات مسامات وجروح كأنها همسات فنجال قهوة مثخن بالحزن والدموع

علقت شام ضحكة من عنب وطيبة : أعرف يا أمي أنا فنجال عاقر!

- يا بنتي يا شام ! أرأيت الطفل الذي هدهدته قبل قليل

- أبن أم العبد ؟

- نعم هو !هو كان يستغيث بنا من جفاف ضرع الحب والحنان في أجساد الأمهات ؟

- نعم رأيت أنك بخرته من العين ومن القيل والقال ؟

- لا يا شام، أنا حضنته وأسكنته، وكان قبل أن يدخل غرفتي روحا تائهة خائفة، أتعرفين لم ؟ لم تترك أم مطر شام تخمن السبب، أو

تحاول معرفته، فقد أردفت سؤالها بابتسامة وبحروف ناعمة : لأن أمه لم تعد تشعر أنها أنثى، ولأنها لم تعرف طعم السكينة، كانت خائفة يا شام، خائفة تبحث في عيني طفلها عن سند لكنها كانت تصطدم بذكورته.

- لكنها كانت تحضنه يا أمي!

- نعم، ولكن حضنها لم يكن حاضرا معها.

- أسمعت ما كانت ترويدتها له ؟

- لا لا لم أسمع!

- كانت تهدهده وهي تغني له:

مطر مطر مطر

لعمر يأتي دائما

مع الخطر

ووجهك الجميل يأتي دائماً

مع المطر.

تبدأ موسيقى الخطر مع المطر..

إذا أتى أيلول يا حبيبي

رسمت عينيك فوق كل غيمة

وكان حبي لك

كما المطر

شحوبك الهزيل يخيفني.

و الشفة المعقوفة الزرقاء.. تستفزني.

وكل ما تراه حولنا يستفزني
رائحة القهوة فوق السرير اليابس..
تستفزني..
ينتابني في الفجر في المساء
إحساس غريب بالأمان و الخطر..
أخاف أن تقترب
أخاف أن تبتعد

- أتعرفين يا شام أنني رأيت في عينيها أحلاما مورقة خضراء مكبلة بالصمت والخوف والحياء، تأكلها نار القهر فهل سيرضع الذكر غير ذلك الشعور العميق بالخوف والقلق والارتباك في حليب أمه وحضنها.

حملت شام في عينيها صورة الطفل وهو يتثاءب بين يدي أم مطر بسكينة وحب، وصورة أم مطر وهي تمرر كفها فوقه وكأنها تمسح عنه الحزن والخوف والقلق..وحملت معها كلمات همست بها عينا أم مطر وانطلقت تردد خشوعا مسبلا في حروف :

شبي يا نار شبي خذي الشر وقبي ردي عافيتها عليه من راسو لقاعات رجليه، بخرتك ياعبد،يا عبيد يا بن صبحية أحسن صبية من كل عين شافتك وحسدتك، عين المره فيها جمرة،عين الرجل فيها منجل،وعين الشيخ فيها سيخ.. بخرتك من عين البنت، أحمي من الخشت، من عين المرة، أحمي من الشرشرة، من عين الولد، أحمي من الزرد..ومن عين النازل وعين الطالع وعين الواقف وعين السامع

بخرته من عيون كثيرة، ومن أنواع البشر وأجناسهم ونظراتهم وأنا أراقبها وأحاول معرفة من أين تجيء بهذه الكلمات المتناغمة والجمل المتتابعة والمفردات غير المفهومة

" ليتني أحفظ هذه التعويذة وأمسح بها على نساء المنطقة 10 علني أستطيع زراعة الخضرة في قلوبهن، علني أمسح عنهن ما يبس فيهن من حزن وخوف وارتباك، علني أزرع فيهن الأمل بحياة أفضل... "

طرقات صاخبة على الباب عرفت شام من قسوتها أنها طرقات العسس وضربات الحرس فحملت معها مطر الأسئلة، وتسلقت السور الفاصل وركضت قبل أن يشعر بها الليل وعيونه.

قبل عامين حمل مطر حقيبة كالحة فوق ظهره ورماها بعزم في جراب الحافلة، قال لأمه وهو يودعها لا تخافي علي سأحملك دعاء شهيا وترويدة في دروبي، سأبقى معك، لا تخشي أن يفقد الصباح في بيتنا نكهته، ولا المساء زحمته، سأبقى معك تمسكين يدي إن أوهنك المرض وتمسحين وجعي إن حاصرني الدهر وعضني بنابه. وانطلقت الحافلة،وتكور هو على المقعد وتكورت هي على ألم جارف عاصف، امتصت ضعفها وحزنها ودمعتها لتلوح له كما يلوح الآخرون الذين تراكض بعضهم خلف الحافلة ليحتفظ بمن يحب أكثر ما يستطيع. وما إن أكلت الحافلة الطريق والبنايات حتى سرقت البهتة أم مطر وحبستها الصفنة في عينين منتظرتين وفم راج

دخلت الغرفة على أطراف أصابعها كما كانت تفعل دائما كي لا تزعج مطرا،ثم انحنت على وسادته تقبلها وتشتمها وتبثها ما تركه الفراق فيها من حمل ثقيل وظل موج من الحنين لابتسامة ابنها يؤرجحها في الغرفة ويلطمها بالجدران اليابسة حتى احتضنتها الأرض

تجلس أم مطر على سرير تقاذفته السنون، تغطي رجليها بدثار خفيف من قطع قماش جمعتها بحرفية وفن حتى استوى قطعة فنية هو لحافها الأثير

كانت تسأل نفسها لو أن مطرا جاء اليوم من غربته أين ستعلق له ملابسه، فهو لا بد قد اشترى في الغربة ملابس كثيرة تدفئة من برودة الطقس هناك، وأين ستضع سريره فهو لا بد قد تعود النوم على الأسرة هناك، وكيف وأين وهل وبدأت بنسج الأسئلة كعادتها منذ عامين لتصل إلى أن هذه الغرفة لم تعد تصلح للمطر، لم تعد تصلح له، وترفع صوتها وتقول بجرأة لم تعد تصلح له، ولكن أينك يا مطر أينك ؟!

تقرع الباب المتهالك المهتزيد صاخبة تسأل أم مطر: من ؟

يشخر الصوت: أنا أنا !

أم مطر: ادخلي يا حبيبتي...

سبعون عاما مرت والقصص التي على لسانها لم تسقط بعد في ساحة اليأس فما زالت نضرة الحروف مشرقة الوجه، تصبغ كلماتها بالدفء الشفيف الجاذب والنغمة الحنونة الماتعة،تعرف كيف تنسج للأسئلة مكانا للبوح، وهي تعرف أكثر أخبارالدنيا وهي في فراشها تخطو بأدوات الاستفهام بروية وحنكة ومكر فتستنزف الألسنة، وتمتص الأخبار، وتلقي النكات والتعليقات، وتزرع البسمة الناطقة الموحية.
هذه هي أم مطر: قالت شام

لكنها قادرة على إيقاف هذا البكاء الممتد المتواصل المتعب : قالت فتاة تجلس على عتبة الدار التي تهاوت ملامح الحياة فيها.

نظرت شام بحزن إلى الفتاة وهي تمسك بطفلها الباكي الملفع بالبياض المغطى بالصوف بيدين مهتزتين ذابلتين مرتجفتين، وتربط نفسها به بعينين من حمرة ودموع

طرقت أم شام الباب فجاءها الصوت من أقصى الدار ضعيفا تعبا مترددا : مين ؟

فردت أم شام : أنا أنا يا أم مطر!

ادخلي يا حبيبتي، فالباب مفتوح !

في الغرفة المعتقة سرير امتص ذكريات عيون كثيرة، واختلطت أنفاسه بأنفاس أطفال الحارة كلهم، وإلى جانب السرير كانت الشربة منتصبة باعتزاز وغرور فهي حديث أم مطر الأثير وموقفها المتجدد من رفض التكنية وأدواتها وأساليبها وأحاديثها

انحنت أم مطر بيديها الذابلتين على الطفل الباكي، وقامت بفرط لفافات القماش عن جسده وفرهدته، وهي تنظر لأمه الصبية بعينين من غضب وعتاب : اخنقيه أحسن، هل بقي عندك ملابس له لم تلبسيه إياها، فعلا أنتن غناجات دلوعات لا تصلحن لتربية الأطفال

وبرقةٍ احتضنت الصبي وشدته إلى صدرها، ثم أبعدته وهو يبكي ومسحت صرته بزيت الزيتون وصارت تقول بصوت المتسغيث الراجي الرحمة الواثق من عطف الرب ورحمته : بخرتك ب....

وتقول كلمات تدفعها إلى التثاؤب وهي تمسح بكفها فوق جسد الطفل الذي استسلم لهذه الكلمات فهدأ، وبدأ هو الآخر بالتثاؤب ثم النوم، فتناولته أمه بفرح وفي عينيها شكر لا يتوقف عن الزحف إلى أطراف يديها وشفتيها ورأسها

حلمت يا أمي أنني في غرفة من زجاج وأمامي قلم ونافذة ودار،وبي رجفة خرساء،علب من الشوق المعصفر بالخدوش، قلق الغريب على المقاعد عند نافذة القطار، سيل من الخوف العميق بلا رتوش

صوت يخرخش تحت أرصفة الحوار،جسد تلاقفه الوحوش، وصبية من أمتعة، تخفي شطيرتها وتسأل عن أبي،وتقول لي من أين أنت، وكيف جئت،وأين يحملك النهار ؟تهمي على الخد المقدد دمعتان تبكي ويسرقها المكان..

حبيبتي:

سنة تلاحق أختها وسترحلين وتمر منك حكاية فيها أنين، وتمر من عينيك هذي الذكريات

تلقى عليك تحية من سندباد شقت يداه إلى الظنون،فاختار نافذة الطفولة كي يعود إلى الأمان،وسترحلين وترحلين وترحلين...

مطر يتحدى

قال مدير المدرسة:"لن تنجح، لن تجتاز بحياتك عتبة كرة القدم، وستبقى مشردا على الأرصفة تضمك الشوارع، وتسحبك أيدي الهمل والزعران".

جلس مطر أبو غضب كما كان يحب أن يناديه بقية خلق الله على السرير وصار يقلب عينيه في هذا الغبار الكثيف الذي كان رفيقه في أيام قضاها من عمره أكلت منه وشربت ودهنت حياته شقاء وقتامة

تذكر قول هاروكي موركا: الحل هو الأحلام.. أن تحلم بالمزيد والمزيد.. تدخل عالم الأحلام، ولا تخرج منه أبدا.. وأن تستغرق في هذه الأحلام حتى النهاية!...

تعرفين حكاية حلم الأسد يا شام ؟

لا، يا أمي لم أسمعها منك

كان يا ما كان في قديم الزمان أسد هصور، بطشه شديد ينظر ولا يزيد، تخافه حيوانات الغابة خوفا ليس له حدود أو وصف، وذات حلم أصابت الأسد رعشة، فسأل الدبَّ عنها فقال له: يا ملك الوحوش ما عرفت من تفسير الاحلام شيئا ولا عرفت عنها شيئا ولكنني سمعت أن للذئب مع الأحلام قصصا، فنادى الأسد الذئب، وحكى له الحلم فقال الذئب يا ملك الملوك أنا أقطع على الإنسان أحلامه وأدخل فيها، ولكنني لا أعرف عن تفسير الأحلام شيئا غير أنني جزء منها، ولكنني

سمعت أن للأرنب معرفة بالأحلام فنادى الأسد الأرنب وحكى له حلمه فقال الأرنب : يا ملك الغابة،حلمك هذا إنسي وأنا خبير بأحلام الأرانب ولا معرفة لي بأحلام الإنس، ولكن الثعبان خبير بأحلام الإنس، وعارف بها فهو جزء عزيز فيها. فنودي الثعبان وحكى الأسد له حكاية الحلم. فقال له الثعبان يلزمني لتفسير الحلم دم كثير لحيوان يسير، ودم لطائر كبير يطير ولا يطير، ودجاجة حمراء وبيضة نعام وماء من رأس الناقورة، فهجم الأسد على الذئب فقتله وأسال دمه وكمن للصقر فقتله وأسال دمه... وأحضرت الحيوانات ما طلب الثعبان فنظر الثعبان في الدم والدم وقال : شرار ودمار ونار فوق نار، كشفت الأسرار وطلع الليل من النهار،خرفوش مرفوش ملطوش وهز رأسه هزات متتابعة مخيفة أرعبت حيوانات الغابة فنفرت، ثم نظر للأسد وقال: سيهجم عليك سبعون طفلا رضيعا، وعشرون امرأة، ومئة شيخ بعصي من ياسمين إن قتلتهم نجوت

سأل الأسد : وهل هم من الجن أم الإنس أم منا ؟

– من الإنس يا ملك الغابة هم من الإنس ! وإن تركتهم يصلون عرينك أخذوك بالنواصي والأقدام، وهم قادمون من أطراف الشام، ومن أدلب وحمص وحماة، ومن نابلس ومن جبال لبنان ومن معان ..فتغضنت وجنتا ملك الغابة الأسد الضرغام وقرر خنق كل رضيع يولد في الشام وعلى أطرافها وبواديها وفي حواضرها وأريافها، ورابط

على ضفاف الأنهار، وشواطئ البحار، وكمن للرائح والجائي في الغابة والقفار، وحرك الغربان تستطلع له أخبار الإنسان وحركاته.

وظل الأسد يفتك بالإنسان وأطفاله حتى تنادى الناس لقتله فاجتمع الصيادون من كل بقاع الأرض وحملوا سلاحهم وساروا في الدروب يبحثون عن الأسد ويقتفون أثره، حتى تمكنوا من محاصرته في عرينه، وكان لأحد الصيادين ولد ماهر بالصيد قال للأبيه أنا أستطيع أن أدخل العرين وأصيبه في مقتل، ولكن الأب الصياد خاف على ابنه من بطش الأسد فقرر أن يدخل معه ودخلا العرين فوجدا الأسد متعبا مرهقا يحتضر لا قوة له ولا طاقة فيه ليأكل فقال الأب فلندعه يحتضر ويتعذب بالجوع والعطش إن قتلناه رحمناه

وخرجا من العرين وهما فرحان بالانتصار

وأما الأسد فنظر إلى الثعبان وقال له أيها الخبيث ؟

– أمي الحبيبة حلمت أنني عالق بين تورد زهرة على تلة من زعتر وأغنيات، وشهقة من صباح وطل في جسد برائحة الجنة...فدعوا صباحاتي تمر بسلام لتوزعني شوقا وحنينا وتعب انتظار

هل سمعت يا شام حكاية الحمار ابن الحمار ؟

شام وهي تضحك :لا، لا لم أسمعها !

أم مطر: سألتني أمي ذات مساء هل تعرفين حكاية الحمار ابن الحمار ؟

فأجبتها وأنا مستغرب، لا أعرفها ولم أسمعها منك يوما ؟
واستغربت كثيرا من عدم معرفتي لهذه الحكاية مع أن أمي ما تركت حكاية إلا روتها لي، وأنا الخبير بالقصص المحب للحكايات،القارئ النهم للروايات. فقالت لي بصوتها المليء بالزيتون والتين والممرات الترابية المعطرة بصباحات قروية مغسلة بالطوابين فاسمعها مني إذن :
في الزمن البعيد في الزمن الذي كانت الأندلس موحدة ويحكمها رجل من عائلة أبي المغاوير كان لفلاح حقل على حدود الدولة..

كان مطر غارقا في ذكرياته مسترسلا في إغفاءة من حنين، ويحدث أن يعبره الحلم ويحلّق... ثم فجأة يهوي من عل ولا شيء غير صوت ارتطامه وانتشار أنين زنابقه المبعثرة يمسح قلبه.

قال له رفيقه عبد الرحمن الذي كان ينحت بحربته رمحا مدببا من غصن شجرة اقتلعتها رياح يوم مضى: ها قد انتهت أيامك بيننا يا أبا غضب! وهذه العلامات التي كنت تحرص كل صباح على أن تمحو منها علامة قد نفدت، فاذهب بالسلامة ناجيا ".

قال له رفيق آخر بحزن : لا تشغل نفسك بنا، هيا إلى الحياة فهي تنتظرك !

كانت الشمس في شهرها الأثير تموز، شهرها الذي تفتن فيه بتلويح وجوه الناس ورسم جذورها على جباههم، جلس أبو غضب على رصيف الشارع يسرح البصر في هذه الأجسام المنتظرة الباهتة المثقلة بالترقب..حتى أيقظه صوت خشن يقول : اصطفوا هنا، كان صاحب الصوت من قسوة صافية أزاح من طريقه مجموعة من الشباب الذين احتموا من لهيب شمس الصحراء بقبعات بيضاء،قال لهم بشراسة : وأنتم هنا،وأزاح مجموعة من الشباب المتعبين من الانتظار ليقفوا بأجسامهم المنهكة لمواجهة الشمس وجها لوجه..

كان أبو غضب يعرف أن يومه لن يكون سهلا، وأن هذا اليوم هو امتداد طبيعي لأيام حياته التي ختمت فصلا من فصول مسرحية اسمها حياة إنسان من المنطقة 10، فهو يذكر جيدا نصائح السابقين الذين خاضوا هذا الفصل وشربوا من كأسه، قالوا له: لا تتعب نفسك، لا تقل إنك تعرف، لا تجادل، لا تغضب، لا تتحدث بالسياسة، لا تقل (لا) أبدا اشطبها من قاموسك، اسمع وأطع، واركض مع الراكضين، وأنشِد مع المنشدين، ونم مع النائمين،وارقص مع الراقصين قالوا له هي أيام وتمضي،ولكنهم لم يقولوا له إنها ستأخذ من عمره أشياء بيضاء كثيرة خبأها لباقي حياته...

في ذلك المساء كانت الساحة فارغة من أرجل المارة ومن حركة وكيل السرية الذي كان يملؤها بصياحه، إنه يوم الجمعة يوم الراحة

القصري، فيه يغسل المتطوعون ملابسهم، ويريحون أحذيتهم، ويلبسون ملابس تعادي الشمس الحارقة، ويتمسكون بزوايا أسرتهم..

ألقت الشاحنة الكبيرة بأبي غضب في وسط ساحة صامتة تمتلئ بالعيون التي كانت تتغطى بمجموعة من الخيم المتقابلة بنظام دقيق متقن، وتفصل بين سطريها ساحة وسارية علم. جلس مطر عند سارية العلم يتابع الهدوء الغريب الذي يلف الساحة، وبقي هناك حتى أكلت منه الدقائق والساعات ما شاءت من الانتظار والتذمر والأغنيات الحزينة التي فارقها الطعم والرائحة...

استوقفه صوت طويل يابس وقال له، وهو يحاول جاهدا أن يستعرض قدرته على ركل الأسرَّة في الخيم المتقابلة : هنا مكانك، ستكون رفيق هذا الفتى الأشقر، وضحك ضحكة ساخرة ماكرة، وراح.

وبلهفة ألقى أبو غضب جسده المرتخي على السرير، وراح يتجول في سراديب غفوة كأنها ابتسامة جني قلق...

ماذا قال أبو غضب؟

..قفز وقفزت وانكسرت المسافات أمامه وانفتحت لي، كان يلتقط أنفاسه بخوف وقلق، وظل يحوم حول عيني حتى التقطته من أنفاسه وأمسكته من قميصه، فصار يتوسل ويرجو، ويقول : ليس لي ذنب هو الذي مد للموج مجذافه...

جلس المتطوع على الأرض يعد أيام حياته التي مضت ليمضي في بحثه عن لحظة هانئة كان قضاها مع حبيبته، وليبني لها جبلا من الأسئلة لتنتقي منه ما يقيم أوده في رحلته الجديدة في الحياة، رحلة تبدأ من خلع ملابسه المدنية والتصاقه بجُمل جديدة من أوامر بالمشي والتوقف والأكل والصوم،والكلام والصمت، والنوم والصحو، والغناء...

قال لهم صاحب الوجه المتشح بالسواد الغاضب : أنتم الآن لا شيء، أنتم خنانة، أنتم مجرد أرقام لا أسماء لكم، تأكلون بأمر منا، وتشربون بأمر منا، وتضحكون متى نريد، وتجلسون متى نريد، لا أمر لكم، لمن الأمر اليوم ؟!قولوا بصوت عال، لمن الأمر اليوم ؟!

فيجيب المتطوعون الخائفون : لكم سيدي!

لمن الأمر اليوم : لكم سيدي !!

قال لي أبو غضب إن الضابط التفت نحوي يوما في ذات طابور وهاجمني بعينيه، وأمسكني من كتفي، واجتثني من الأرض: أنت ؟

قلت بصوت عال : حاضر سيدي

فازداد غضبه وقال بصوت مهتز منفجر: ارفع صوتك ؟

فقلت برجفة قلب فكر بالآتي من فراغ ولون وضعف :حاضر سّيْدِي !

إعلان هام

بالتعاون مع مجلس المنطقة 10 والهيئة العامة للأمن والحماية فيها تعقد اللجنة الوطنية للتفسير والتدريب والتظيم والتوجيه عن عقد دورة أولية للسيطرة والتحكم بالأحلام من المستويات 10-3، ابتداء من الخامس عشر من شهر المفتاح من عام الذكورة في مسرح مبنى رئاسة اللجنة.

ووفقا للمواعيد الآتية:

الشعبة 10 من الساعة الخامسة وحتى الساعة الثامنة من صباح كل يوم

الشعبة 2 من الساعة العاشرة وحتى الساعة الثانية عشرة من مساء كل يوم

فعلى كل ذكر بلغ الخامسة عشرة الحضور إلى مبنى المجلس لتحديد الموعد الذي يناسبه للتدريب وكل من يتخلف سيعرض نفسه لأقسى العقوبات التي نص عليها قانون المنطقة 10

لا نعترض

متعبة صامتة تلك الأفواه التي كتب عليها أن تتذوق طعم الوقوف لساعات طويلة في مواجهة الشمس والفراغ المبني على حركات متزنة من صوت وجسد، وفي مواجهة الجالس على طاولة صغيرة ينادي أسماءهم، وقفت العيون ترقب الداخلين والخارجين، والأيدي الداعمة والأيدي النظيفة التي جاءت لتساعد في وضع المتطوع فلان في المكان الفلاني ليتدرب بهدوء ورقة، ووضع المتطوع فلان في المكان الفلاني لأنه يحب اللعب.. وما كادت الشمس تغيب حتى كان نصف الواقفين قد أخذ مكانه في الشاحنات التي ستلقيهم في معامل الرجال كما كان يسميها الضابط الأشقر الذي تباهى كثيرا بصوته وهو يرتب المتضوعين جوعا والواقفين الخائفين المرتبكين

قال أبو غضب :

كان الليل قد داهم الصحراء عندما ألقت بي الشاحنة العسكرية في إحدى الساحات المعتمة، ولم يكن باستقبالنا أحد، فتوسد كل واحد منا ذراعه، وألقى بجسده على الأرض، وبدأنا نمسك بأطراف الأحاديث، وما كادت أمور جلستنا تستقيم حتى أطل من بعيد (طويل)،وهو اللقب الذي أطلقناه على مدربنا؛ فقد كان هذا المدرب لا يتجاوز المتر والنصف، كان طويل رجلا شجاعا وصاحب نخوة وجمال خلق، أحبه المتطوعون كثيرا، ولعل هذا يبرر الزيارات الكثيرة لبيته وكثرة الهدايا التي كان يحملها المتطوعون إليه ..

اليوم هو يوم توزيع الملابس، على الجميع أن يحذر السرقة، فقط احملها وألقها على سريرك، وقف بجانبها...:قال طويل.

واصطففنا من جديد في مواجهة نافذة وكوخ صغير، وبدأت تلقى علينا الملابس العسكرية من الجهات الأربع: بصطاران، بنطالا فوتيك، وجربان، وملابس داخلية، و(طاقية) وحرامان..

حملت أغراضي كلها بفرح انتهاء الانتظار الإجباري، وأسرعت بها إلى الثكنة حيث ألقيتها على السرير، ووقفت إلى جانبها كالصنم قالوا لي: اسمع وأطع وإلا...

تصنمت أمام السرير، ومع أن علاقتي بالأسرة لم تكن جيدة، فهي سبب رئيس في الندبة الكبيرة التي تشوه وجهي، وهي سبب كسرين في الذراع، إلا أنني استسلمت لها واحتميت بها من تعب نخر أيامي، ولكن طارئ ما عكر علاقتي بالأسرة وهو مطالبة عريف الثكنة بسريري واستبداله بسرير منبعج منطعج بعد أن وصف المعاناة التي تكبدها للحصول عليه، فقد فاجأني هذا النمس الليلي بمطالبته بالسرير مع أنه لي وأنا الذي استلمته وحملته وأصلحته...

بقيت متسمرا أمام السرير المنبعج الجديد حتى جاء الطويل وبدأ بإلقاء خطبة الملابس: البصطار الأول يا بصطار للركض والعمل، وأما هذا فهو لكي تعتني به وتلمعه ليوم التخرج يجب أن يكون كالمرآة، يجب أن ترى وجهك فيه،أما مكانه فهو هنا مكان رأسك وأشار إلى

المخدة..ومن يومها والبسطار شغلنا الشاغل، وهمنا الكبير، ومتنفس صدورنا الأثير نوزع قربه الأغنيات، وننسج له المواويل :

بسطاري يا بسطاري يا شاغل لي أفكاري

اصطففنا وقال أحد الضباط نافخا صوته وحروفه :

" يا بصطاريا بن البصطار لا تخليني أغلط عليك " كان صوت الضابط المسؤول، قال تهديداته بصوت متجهم غاضب، ومئات المتطوعين السنافر يصطفون بخوف ونظام دقيق في ساحة التدريب ليبدأ التدريب على الوقوف العسكري..

قال الضابط المسؤول : "راسك لفوق معرش يا خنانة.. عرش وصدرك للأمام ويديك على جانبك، هكذا " ونفخ الضابط جسده، وتصلب أمام الطابور الصباحي

صرخت في صبري : متى ينتهي كل هذا الهراء ؟

قالوا لي: إياك أن تعد الأيام بصوت عال وإلا ؟؟

في ذلك اليوم الطابوري تصنم المتطوعون خلف كلمات الموعز، انشغلت أفكارهم بالعقوبة التي ينتظرها الذي يعكر صفو الحركات الصادرة عنه..

قال الضابط المسؤول : "الجامعيين يرفعوا أيديهم"

فرفعت يدي

قال: "الجامعيون يصطفوا هنا ".

فاصطففنا مجموعة من الرجال المحلقين الذين لوحتهم الشمس وفي أعيننا لوحة من الراحة نستحقها، وقطعة من الاعتناء حلمنا بها

قال لنا : أنتم يا جامعيين خنانة، انبطحوا على الأرض...

فانبطحنا،وبدأنا رحلة العذاب الطويل زحفا وتقلبا، وما كادت الساعة تمر حتى كان كل واحد منا يستنجد بعزرائيل..

تفسير

جلست قزاعة الصبر لقاء القرفصاءعلى فرش أخضر وارى قليلاً من عور الغرفة المتهالكة البالية، ثم نظرت في عيني أم مطر وهما تحبسان عنها سؤالا اشرأبت منه شفتاه لتعرف الفرصة التي تسمح لها بالكلام : يا أمي ؟

نعم يا حبيبتي !؟

حلمت البارحة أنني في واد غير ذي زرع، لا أنس فيه ولا جن ولا عدو ولا صديق والوادي أنفاسه تتصاعد نارا وأبخرة حمراء، وهو مع أنفاسه يضيق ويتسع، وعلى حافتي الوادي أشجار لها عيون وآذان تضحك حينا وتبكي حينا، ويجري الماء فيها رقراقا ضاحكا مبتسما حينا وغاضبا أو حزينا حينا،وشرسا متوحشا متدحرجا حينا وهادئا سلسبيلا حينا.

افتيني في رؤياي فقد شغلني ما فيها ومن فيها

أم مطر،وهي تسحب حراما من خلفها وتلف به ما انكشف من قدميها، وتلقي نظرة على شام الجالسة على سطر من قلق وارتبابك، وإلى لقاء المنتظرة المترقبة بشوق وقلق: يا حبيبتي، تعصف بك الحياة وتأخذك الأيام وترحل بك في أتون الحزن والمعاناة ردحا من العمر لكنها تعود بك إلى المنطقة 10 بعد أن تكوني قد صبرت وكافحت وسعيت لترفعك مكانا عليا وترزقك من حيث تدرين ولا تدرين، وستتزوجين في أيامك المرة رجلا لا خلق له يسيء إليك ويتعب أيامك، لكن رجلا عطوفا ينقذك منه يأخذك لبيته ويمسح عن عينيك رحلة العذاب

انفرجت أسارير لقاء وارتسمت على وجهها ابتسامة رضى واسعة كنسمة تلاطف غدائر طفلة صغيرة.

- شام يا بنتي، شو أخبار لقاء ؟

- لم نرها منذ زمن، لكنني سمعت أنها تزوجت رجلا يذيقها من مر الحياة أشكالا وألوانا

وصلت لقاء البيت والحياة في عينيها فرحة تتراقص فيها الأمنيات وجلست إلى المرآة تنظر إلى ما تقافز من فرح في ملامحها، وحين دخلت أمها لم ترتبك بل أسرعت إليها لتحتضنها وتحكي لها ما قالته أم مطر لها.

- فرح لك وبك يا بنتي اصبري فما بعد الصبر إلا الفرج

جاء المساء على بيت لقاء سريعا، فقد انحسر عن ظلمة دامسة غطت المنطقة 10 كانت لقاء تستعد لإشعال الفانوس لحظة طرق الباب ودخلت البيت امرأة في مشيتها عز ودلال، وفي ملابسها يحتمي المال وأدواته

- أهلا وسهلا، اشربي قهوتك يا حبيبتي، قالت أم لقاء

المرأة وهي تتفحص لقاء من رأسها حتى إخمص قدميها، وكأنها تفتش في جسد لقاء عن إبرة ضائعة

: أنا أم سليم من الحارة القبلية حارة الحلم الثاني ؟

- أهلا أهلا، أحبة وأهل أنتم يا هلا ومرحب !

- لقد رأى ابني ابنتكم وراقت له، وطلب مني أن أخطبها له ؟

- هل أخذ موافقة لجنة الأحلام والتفسير ؟

المـرأة بزهـو وتبـاه : نعـم، اقترعـوا وحظي ابني بالفرصـة الذهبيـة لاختيار من يريد!

راقبت لقـاء أم سـليم وهي ترتشـف القهـوة وأذناهـا يمتطيـان دقـات قلبها،ويلتحمـان بأنفـاس الغرفـة التي انتشـر فيهـا الفـرح والحـزن معـا في بوتقة من قلوب مشرعة على الحلم ونهايته السعيدة

رفعت لقـاء القهـوة وهي تتمنى لـو أن حلمهـا يغير مسـاراته ودروبـه في حياتها، لكانت حياتها عابقة بالخضرة والنضرة.

تزوجت لقـاء سـليما ولـم تمـض أيـام حتى صـارت حياتها بيد من نـار الغيرة سـلتطها عليها حماتها فتعـذبت بهـا، حتى صـارت حياتهـا جحيمـا وأيامهـا علقمـا، ونمـت علامـات الحـزن على وجههـا وحركاتهـا فخاطبـت لجنـة التفسـير لتطليقهـا منـه، لكـن لجنـة التفسـير لـم تقبـل ورفضـت فكرة الانفصال في المنطقة 10،وماجت الأيام بها وتدحرجت في عمرها، وصبرت حتى تغير مدار الحلم في حياتها...

كبر يا أبا غضب

"أمي الحبيبة !

أدعو الله أن تكوني بخير!

اليوم هو اليوم العاشر من أيام التدريب، لا تخافي عليَّ، أنا بخير وسلامة، وأكلي عال العال !

وحياتي جميلة، وأيامي في التدريب سهلة، وتمر بسرعة

حماك الله، كوني بخير!"

نظر أبو غضب إلى حبات الزيتون التي تدحرجت في صحنه، وإلى قطعة الخبز المتيبسة التي رافقتها بخجل، وإلى أفواه المتطوعين المتيبسة من الجوع والعطش والتعب واللهاث، وفكر بإلقاء كل هذا الطعام الخشن اليابس القاسي بعيدا، لكنه تذكر أن ذلك سيعد تمردا، وأن نتائجه ستكون وخيمة، فاندس بصحنه الحديدي بين الجموع، واستوى على صخرة أشعرته أنه ما زال من لحم ودم.

كان يوما مليئا بالركض والغناء المدجن:

يا بو عيون السود عيونك سوسحني

فنردد كلنا ما يطرب خربوش : يا بو عيون السود عيونك سوسحني

فيقول خربوش : سوسحني واشعلن بقليبي ناره

فيردد المتطوعون بحماس ورغبة ومتعة وانبساط: سوسحني واشعلن بقليبي ناره

كان طابور الغداء مقلقا متعبا،فهو فوق نار الشمس اللاهبة، وكان جميع الضباط يراقبون من بعيد حركة المتطوعين والمدربين ويتهامسون وهم حين يتهامسون يقلبون نهاراتنا تعبا وعرقا، وهذا ما حصل؛ فما كادت الساعة تنهي مشوارها حتى انطلقت صافرة خربوش بأن هلموا إلى الطابور فتراكضنا وهرعنا بأسرع ما نستطيع إلى ساحة المعسكر خوفا وقلقا

قال صوت لامع من ترف ونزق حاد مشمئز: أتدرون أنني قطعت إجازتي لأن واحدا من الفصيل السادس شخ عند الحمامات "

قلت في نفسي: يا ويلاه، يا رباه، وامصيبتاه ! إنه يعني فصيلي والعقوبة تعم، وأنا مرهق تعب، ولا استطيع احتمال يوم آخر من العذاب !

تابع الصوت النزق: واليوم سترون كيف يكون عقاب من يشخ عند الحمامات

قلت بصوت مسموع : يا خراب بيتنا ! فضحك الفصيل، فزاد البلاء والابتلاء.

لم يتوقف يومنا عن السير على كل لسان حتى رأينا أياما أمر وأشد لكل فصيل، فقد تناوب المدربون على الإشراف على طوابير ccيطلبها الضباط مزمزة وترفيها في كل وقت وكل حين.

وزع المدرب علينا العصي واختار سبعة منا للمناوبة الأولى في حياتنا العسكرية التي قالوا إنها ستكون مليئة بالوظائف والمناوبات

كلف المدرب أبا غضب بحراسة المطبخ، وأما البقية فوزعهم على الحمامات والنادي ومنام الضباط ومنامات المدربين ومنزل قائد المعسكر.

كانت الساعة تمر بطيئة، ولم تسعف أبا غضب فيها أغنيات كثيرة حملها معه إلى التدريب مع قصائد لشعراء اصطفوا أمامه بغزلهم ورثائهم وهجائهم وتمردهم، فقد زادته لامية الشنفري أسى وتململا، وزاده المتنبي قهرا، فغضب مع الشنفري:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم

وتأوه مع المتنبي :

قليل عائدي سقم فؤادي

وبكى مع أبي فراس

وفيت وفي بعض الوفاء مذلة...

"صرخت : مين مين مين

قال صوت حاد ثعلبي : المفتش !

قلت: بصوت مزمجر :سر الليل ؟

قال : ليث

ويبدو أنني نجحت في أول اختبار حراسة، إذ لم يعلق الصوت على حراستي بحرف خشن، واكتفى بالنظر إلي من أعلى إلى أسفل، وأنا متمسك بعصاي أحاول فتح عيني على أكبر ما أستطيع من جسده المتلفع بأكثر من غطاء".

قال أبو غضب لذاك المتسلل المتشح بثوب الخوف: ما الذي جاء بك إلى هنا ؟

المتسلل وهو يمسك جسده الذابل،ويحاول السيطرة على رجليه المرتجتين ويثبت لسانه المهتز: جئت لآكل جزرة وبسكوته...

نظر أبو غضب إليه،وهو يفكر كيف تدحرجت هذه الكلمات من فم ذاك المتسلل البائس، وقال بابتسامة فاجأته هو قبل أن تفاجئ المتسلل : ومن سيسألون إن أمسكوا بك، أو عرفوا أن الجزر قد نقصت منه جزرة ؟ رأى أبو غضب الجوع يرقص في مقلتي ذاك الشاب فرقَّ قلبه، وقال له: أنا بعد قليل سأمشي باتجاه السور الذي يبعد مئة متر عن المطبخ، إياك أن تستغل ذهابي وتدخل من هذه الطاقة المفتوحة على الجزر.

وبعد دقائق قليلة راح أبو غضب يجر رجليه ويضرب قدميه بأرض خشنة، ثم أغمض عينيه لكي لا يرى ذلك الجائع المتسلل من طاقة المطبخ وهو يخرج الجزر والبسكوت من سلال المطبخ وصناديقه.

مضت الساعة وفكرُ أبي غضب شارد بما سيحمله إليه الصباح، وأسئلة المحققين تلفه من كل ناحية وتلتصق بخياله وعينيه: هل، وكيف،ومن، ولا تكذب، ومتى...

وقد استعد لها كلها، وحضَّر لها لسانه وعينيه وتقاطيع وجهه،وحركات يديه، وتقلبات لسانه وتصويرات فمه، كانت الطريق إلى الثكنة معبأة بصرخات المتدربين وهم يسألون عن القادم وينهرهونه طالبين منه سر الليل الذي انتشر في أنحاء السرية كالنار في الهشيم، وما إن دخل غرفته في زاوية الثكنة حتى صرخ في وجه صارخ،وصوب بندقيته إلى وجهه: كبر يا أبا غضب

نظر أبو غضب إلى مصدر الصوت كان وجها أسود وشفتين من جفاف وخشونة وعينين متصلبتين إنه رفيقه في الغرفة سلامة الفاتح، كان جسده يطاول السماء يقبض بأصابع جامدة على بندقية مهيئة للنطق بالموت، فأسرع أبو غضب لالتقاط لسانه، وقال بصوت عال كأنه ينادي طالبا النجدة: الله أكبر ولله الحمد

حامل البندقية : كبر يا أبا غضب !

أبو غضب بصوت أعلى يناطح الهدوء، ويعلن الغرق : الله أكبر ولله الحمد!

الوجه الغاضب يبعد فوهة البندقية عن جسد أبي غضب، ويقول بصوت لين رقيق: أنا رسول الأرض إليكم،أنا لسان الضعفاء وكلمة من في الزنازين، أنا وصي الشهداء لا كذب " ثم التفت إلى أبي غضب وقال : آمن بي وستحيا، لا تكن مثل أبي وأمي وجيراني، كفروا بي وبما حملت، قل آمنت بك، يا أبا غضب يا أبا غضب ؟!

فكبر أبو غضب وزاد التكبير

فقال الرجل: آمن بي، آمن بي !

فقال أبو غضب: آمنت بك رسولا من الأرض ووصيا على معذبيها، وكررها ليرى إن كانت فوهة البندقية ستبتعد أكثر!

وعن الواقعة حدثني أبو غضب قال:

إن الوجه الأسود قال له بعد حين بلين: كبر يا أخي!

فكبرت بصوت رج الأرض وهزها لعلَّ المتطوعين المتعبين يفيقون ويبعثون من رقادهم فينتشلونني من بين أنياب هذا الضائع المسكين الذي تشبث ببندقيته، كبرت بصوت كالرعد هز الثكنات وتراكضت نحوه الجنود، وكم كانت فرحتي كبيرة عندما تجمع في الغرفة المتدربون والضباط والمدربون

تصدى ضابط مدور معقوف بعناية كأنه رغيف من خبز وزيت وزعتر لهذا الشاب الذي التصق بزناد بندقيته، عاتبه قليلا بلطف وبحب وبنعومة لم نشمها منذ أيام طويلة يابسة

قال له : سنؤمن بك وبرسالتك، ولكن عليك أولا أن تعلمنا كيف نخاطبك ونحكي لك عن حبنا لك وللأرض

قال المتمسك ببندقيته : كلامكم معي بالعيون

ووجه بندقيته نحو رأسه ثم باتجاه الضابط الذي غزاه العرق والتعب والخوف ونظر إلى مهرب فلم يجده، فقال : يا رسول الأرض ما تلك التي ترفعها بوجه محبيك ومريديك ؟

قال الوجه الغاضب وقد انتفخت أوردته وانتقع وجهه بحمرة داكنة: هي البداية والنهاية

قال الضابط وهو يخطو خطوات حذرة باتجاهه: فما تصنع بها بعد أن أطعناك وتبعناك ؟

قال الوجه الغاضب، وهو يحس أن مكيدة تدبر له : بين السواد والبياض غابة وليل، وشارع من جلود ودماء، ووجه بندقيته إلى رأسه فانتشر الصوت والدم والأشلاء في الغرفة الصغيرة، وتناثرت العيون الخائفة من تلك اللحظة في كل مكان...

أمي الحبيبة

اليـوم هـو اليـوم الأخيـر لصـاحب الكتفـين العرضـين في الحيـاة العسكرية،وهو ينظر في أركان الخيمة التي استفردت بكثير من نفثات صدر هذا الوجه الأسمر الذي نقعته الشمس ولوحته، ورسمت عليه ملامح من قسوة وصبر، وذاك هو سريره المكسور المنبعج المرتخي المستسلم للأرض كجندي فقد القدرة على الصمود في معركة يائسة..

قال متطوع :سمعت ليلة أمس إطلاق نار في طرف المعسكر ؟

أبو غضب : سمعت ورأيت ؟

- مين وكيف وليش ؟

- المفتش، ظن أن العيون اللامعة التي تتجه نحوه هي ضباع، فرشها بصلية من بارودته !

- وما كانت ؟

- مجموعة من الأبقار الضالة، ضحَّى بها هذا المسكين، وغدا محاكمته !

- الله يكون بعونه ؟

وبينما كان الجميع يتأسف ويدعو للمفتش الرجل الطويل الطيب دخل الضابط سراب، الضابط الضخم صاحب الشاربين الغليظين

اللذين يلتفان حول فمه بقسوة وبفوضى مخيفة، لم يسلم وإنما طلب منا أن نتهيأ لسماع الأوامر العسكرية التي صدرت عن قيادة التنظيم، ثم فتح ورقة وبدأ بتعداد الأسماء، فليستعد كل من يسمع اسمه وليحمل يطقه كله وسلاحه وذخيرته...ثم خرج.

قال أبو غضب بغضب : وأبو غضب وين اسمه ؟

ظن أبو غضب أن الأسماء هي أسماء الذين سيتقدمون المعركة مع العدو، وحين لم يسمع اسمه بين الأسماء جن جنونه،وبدأ بضرب الجدران وحمل غضبه على رجليه وطار بهما إلى قائد المعسكر، ودخل عليه من غير استئذان

: "يعني بحرق المعسكر، يعني بقتل حالي، يعني بدمر الدنيا، أنا لازم أروح معهم ليش أنا مش معهم ليش، ناقصني رجل ولا إيد ؟"

ضحك قائد المعسكر وقال له : كن في كامل عدتك وعتادك لتكون معهم في الصباح ! كانت الساعة الثالثة فجرا والأرض من تحت بساطير الجنود تريد أن تتوجع من وقع ضربات أقدامهم.

وكيل الكتيبة :سرية معتدل سر...قف..إلى الخلف در... وظل الوكيل يؤرجحنا بين الأمام والخلف والمشي البطيء والمشي المعتدل حتى دخنا، وفجأة انطلق لسان وكيل الكتيبة بصرخة عالية مد حروفها :سرية تهيأ

فتصنم الجنود واعتدلت قامتهم، وارتفعت رؤوسهم وتمسمرت أردافهم وهم يلمحون قائد الكتيبة يدخل من طرف الغابة، وما إن وصل طابور الجنود حتى انطلق صوت وكيل الكتيبة :

سرية...سلام قف

فارتفعت البنادق وانخفضت وضربت وهزت بحركات ثابتة متتابعة متلازمة متماثلة كأنها حركات خلية نحل

وقف قائد الكتيبة ينظر في طابور الجنود حينا وفي أطراف الوادي السحيق حينا، ثم قال وعيناه في الهواء وأعالي الأشجار:

أنتم الشجعان الذين اخترناهم للقبض على الحصان الهارب والحمارين اللذين تسللا إلى ملعب المدينة وأكلا العشب... سنقسمكم إلى مجموعات، وكل مجموعة ستفتش منطقتها بروية وهدوء وحذر المتطوعين بصوت جامد مهترئ : الحماران شرسان والحصان جامح خطير.. أحياء لا أمواتا وإن كان ولا بد فأمواتا"....

بهت أبو غضب الذي ظن أن وقت الالتحام مع العدو قد حان، فإذا المطلوب منه أن يقتل من حمارين وحصانا فتمتم بكلمات أضحكت عمر العابد الجندي الأسمر المفتول العضلات الذي بجانبه وكادت ضحكته تكون القاضية لولا أنه أتبعها بمشهد تمثيلي صار يسعل فيه ويسعل...قال أبو غضب في نفسه: تبا لكم تبا لكم، والله لو شفتهم لأعطيهم راتبي وطعامي وما أحكي معهم "

وسار الجنود في مجموعات صغيرة من أطراف الغابة حتى مصب نهر أعوج ملتوٍ، فتشوا البيارات والبساتين والكهوف عن شيء ما هم لا يعرفونه ولا يريدون أن يعرفوه، ولن يكون في أي حال الهاربين الذين تحدث عنهم صاحب النظارات الذي هزت الأقدام الأرض من أجله..فقد اصطادوا ألغاما كثيرة في تلك الممرات الجبلية والوديان في الطريق التي أكلت منهم يوما وليلة.وبصاطير مهترئة وأرجلا منتفخة وأضلعا مرهقة..

وضع أبو غضب يده على تلك الورقة التي حملها إليه وكيل السرية وقال له: يا أبا غضب كتاب تسريحك من الخدمة..

لم تتسع الخيمة التي نصبت على شفير وادٍ يطل على أرض مبتسمة دائما لما حملته عيناه من رغبة في الانطلاق، ومن فرحة راقصة جاءت من روح متمردة رافضة حشرت في قفص من الحركات والأوامر والتهديدات والعقوبات والعقبات.. ارتسمت حياة أبي غضب في المعسكرات على الورقة أمام عينيه كانت مرحلة طويلة من تعب وتعب وقهر...

حبيبتي الغالية

بـدأت العنكبـوت تفـرش وسـادتها فـوق حروفي رخـوة متمايلـة مـع هبات النسيم، وتنام الآن بين فكي، وتتراخى شبكتها فوق كلماتي، أمد ذراعي لتشتد فتلدغها العنكبوت فتصير منها ولها فيكبر الخوف في جسدي من لحظات أخرى، أحبك وأشتاق إليك وأتعذب بك فقد صارت حياتي كلها من خيوط العنكبوت. لم تقف كلمات النقاء التي توجتُّ بها صوتي من تمرير مشروع العنكبوت وتدجين فكرة العنكبة فقد اكتشفت متأخرا أن خيوط العنكبوت هي نسيج العلاقات الكثيرة التي رعيتها،وهي عنوان الحياة التي ظننت أن عودها قد اشتد، تقول لي نفسي دائما :يا لهول هذا النسيج الذي يغشاني ويحتل عيني وحروفي، ويفرض علي إقامة جبرية فيه...!

حبيبتي الغالية

كلما صاحت معذبة في وهاد الأرض اهتز البيت وتداعت أركانه بالسهر والحمى، وكلما فكر صوت بالنداء سعلت في وجهه الطرائد والفرائس واختنق برائحة الحقد المنبعثة من مقبرة مكشوفة على خلق الله تنبعث منها الأسئلة كريهة منتنة كلها، من كبير لا يكل ولا يمل من ترداد فليهدموا البيت، وليسكبوا الزيت، وليسحبوا الحصيرة من تحت العطاش، وهذا بيت العنكبوت وقصة ورقة التوت وساحة الحرام والحلال والإذاعة المفتوحة على الجرح الصاخب...

حبيبتي الغالية

بدأت أصير خيطا فاجعليني من ملابسك لأنني لن أخونك، ولن أسقيك من وجعي، ولا تلفظي معي أنفاسي الأخيرة كل يوم مرتين، لن أسمعك أصوات العري في صدري، لن تجدي غيري على لوحة الانتظار فقد تعودت الوفاء للأرض وإن سحقتني نداءات العنكبوت

حبيبتي أغمضي عينيك قليلا لكي لا تنالي ما أنال من اللكمات والكشرات والهمز واللمز فقد غرست الغربة نسيج العنكبوت في جسدي فصرت من غضب متواصل، ومن سعير آهات متتابعة

حبيبتي،

من هنا من بين الفرائس والطرائد والأشلاء أطلب منك الآن أن تدفعي عقارب الساعة للأمام فقد مللت وتعبت من طول الانتظار خلف شبابيك واهية من المكر والعذل والاحتقار..

حبيبتي ،

لم أترك الحقل ولا المنجل هم سحبوني إلى حقول الكساد، لم أترك الحصان وحيدا هم سحبوا السرج من بين عيني وألقوني في حلباتهم، لم أختبئ في وقت الضرام هم جردوني من ملابسي، لم أسع لقارعة الطريق ورصيف الموت والبعد هم علقوني من سين كبيرة، وربطوني بها في أيامي وليالي الطويلة العابسة

حبيبتي،

من بين أسنان العنكبوت أقول لك الآن لا تتركيني قبل أن أنام قليلاً فقد بقيت طويلا على سلم الانتظار أعيش القهر...

حبيبك المخلص مطر

قلت لها: بيننا سر لا ينطفئ

قالت لك:

..بريدك خاو...فلا غير قلبك كي تسمعه... وما عاد لونك مثل اللقاء الذي كنت فيه..وما عاد يحنو عليك الوداع..وليس لعينيك غير الذي قاله الراحلون "عليك السلام "..أما آن أن تعترف..وحيدا وحيدا كما كنت دوما.. وهذا الذي قاله الراحلون كلام من الريح.. هبة شوق علت في القصيدة كي تستريح..وهذا الذي قاله الراحلون بلا نبضة موجعة..فها قد بقيت وحيدا..بقيت....وما فكروا بالبحار التي تنفض الآن أوجاعها فيك..وما فكر الراحلون بما يعتريك..يقولون ما يشتهون وأنت تقلب وتعصر دوما يديك..وداعا وراحوا..وداعا وألقوا الحقائب فوق الغصون الطرية حتى تموت..وداعا وألقوا كلامي وصوتي وحرفي إلى المقصلة..وداعا وراحوا وها أنت وحدك، وهذا الحنين عجيب يقطِّع..يحرق...ما أثقله !!

قلتَ لها :حالي يا حبيبتي مثل صورة في جدارية معروضة للزائرين كلهم يقفون أمامي، يعطون نظرتهم جمال حقيبتي لوني دفاتري العتيقة والحروف المورقة لكنهم دوما يمرون من جانب الصور

ويمشون..حالي كسارية تراقص موجها بين البحار الغاضبة..كنافذة على أطرافها الوجع المعشش في الدروب الحاسرة،حالي كصوت مال للجهة المليئة بالدموع.. لا تأبهي بي إنني صنو الألم وصديقتي لغة الدموع وتراب أوردتي حزن ،،لا تأبهي بي إنني ما زلت أعبث بالكفن..

تجرد من اليبوسة فيك أنت الآن أمام البوابة الرئيسة لبيتها، أرخ جسمك قليلا وتهيأ للدخول من بين الأقواس الحجرية البيضاء الضخمة،لا تثقل روحك بما تبقى عليك من أقساط أنفاس، لا تتعبها بما يرتعش على جسدك من ملابس بالية، ادفع قدميك للأمام، ولا تخش إلا ارتباكك وترددك

كان لقاؤهما الأول مليئا بالصمت والخجل والنظرات المرتبكة والعيون والابتسامات المدجنة

كان لقاؤهما العاشر بين اللقمة وأختها، والتنهيدة ورفيقتها والدعاء المصبوغ بالرجاء

لكنه ..!

لكنها...!

هي قالت ذلك لي عندما التقيتها باب المحكمة وهي تبحث عن ظل تتوارى تحته، فقد أرهقها الجلوس انتظارا لصباح جديد متعب لترتاح فيه

حياة الأحلام

- أسمعت يا شام صوت أبي وضاح يجرجر بحته في شوارع المنطقة10 ؟

- نعم، هو كان ينادي بحرارة وحرقة شباب المنطقة للالتحاق بدورة التحكم بالأحلام ؟

- نعم يا أمي، سيتولى شاب من أهل القرية اسمه رباح تدريب الشباب الذكور على السيطرة على أحلامهم ليحسِّنوا من حاضر المنطقة ومستقبلها، هذا ما تراه لجنة تفسير الأحلام

- وهل يستطيع تمكين الشباب من السيطرة على أحلامهم والتحكم بها

- أظن ذلك فقد سمعت أنه درس علم النفس في أشهر جامعات الغرب !

- ضلوا يا شام، ضلوا يا شام !

تمسك شام يد أم مطر وتقودها في فناء البيت، أتعرفين أنهم وضعوا آرمات في أنحاء المنطقة تحمل عبارات تقول :

"حلمك يا بني يحدد مصير منطقتك فترفق بنا وبك "

" أحلامنا مصدر رفاهنا فاعرف حلمك القادم وتحكم بخطواته "

"احلم معنا واحلم لنا فنحن في مركب واحد وعلى درب واحد "

نادي الأحلام هو دليل زاه مشرق على تكافل أبناء المنطقة 10 وتكافلهم وتراحمهم فقد تجمع المبلغ اللازم لبنائه بأقل من سبعة أيام، وبني وجهز في سبعة أيام، ولم يطل انتظار لجنة الأحلام حتى وجدت

من يقوم عليه ويتصدى لتدريب الشباب فيه على التحكم بأحلامهم، فقد جاء الشاب ذو العضلات المفتولة الذي يملك عينين تبرقان ثقة واعتدادا بالنفس حاملا شهادته بيديه ولسانه وقلبه وحين سألوه عن مدى معرفته بالحلم والتحكم به قال لهم :

جئت من منطقة حياتها كانت مجموعة من الأحلام السائبة الهائمة حتى تصدى لها أستاذي واستطاع أن يدجنها، ويمكن المجتمع منها، ويسير به على نمط من الأحلام، ويعبر به إلى الحياة الأجمل والأفضل والأكمل.

دخلت كلمات الشاب المتحمس قلوب أعضاء اللجنة بردا وسلاما فنالت استحسانها وثقتها فأعطت إشارة بدء التدريب، كما يريد وبما يريد، فقد وافقوا على شروطه كلها فجعلوا التدريب في النادي إلزاميا لكل ذكر تجاوز الرابعة عشرة، وجعلوا حلقة الرأس موحدة لكل من يتدرب في النادي، وفرَّغوا الملزم بالتدرب ستة أشهر كاملة، يعطى فيها راتبا يكفيه ويحميه ويقيه.

دخل رابح على مجموعة من الفتيان المحلقين المتشحين بالبياض،ألقى عليهم التحية بصوته الخشن البارد فرفعوا رؤوسهم بحذر ودهشة وارتباك وردوا التحية بهمهمة لم تعجب المدرب فأمرهم بالوقوف والاصطفاف والثبات ونظر نظرة صماء في وجوههم وزعها على عيونهم آيات من القلق والخوف، ثم طلب منهم الجلوس

أحلام من طين

الطرقات الناعمة الخجولة على الباب لم تحدث فرقا في لون الرطوبة التي تتسلل بشراهة إلى جدران غرفتها، قالت مين، ثم تربعت القرفصاء على سريرها بانتظار الرد الذي جاء مترددا خجولا مرتبكا : - جارتك أم عبد الرحمن

- ادخلي يا حبيبتي أهلا وسهلا ألف مرحبا بك !

تدخل أم عبد الرحمن، وهي امراة من لوز وتين، وفي يدها مطربان حرصت على أن تراه أم مطر وهي تضعه عند طرف السرير

- شو هذا يا حبيبتي، قالت أم مطر وفي كلماتها امتنان رنان ودفء قبول ؟

- ولا شيء من قيمتك يا أمي !

- اجلسي اجلسي، والله ما كان له داع !كيفك وكيف أولادك، وكيف من وراك؟

كانت قهوة أم مطر لا تفارق حجرها، صبت فنجالا وناولاته لأم عبد الرحمن وجرّته بعبارات مهلية كثيرة ؟

لم يطل الصمت بعد ذلك فقد ابتلعت أم عبد الرحمن ريقها وتجمعت هي وحروفوها وشجاعتها لتقول : يا أم مطر حلمت أن الأرض تنشق وتبتلع شجرة الليمون في بيتي، ويخرج منها آلاف الثعالب بأنيابها اللامعة ومخالبها الحادة لتلاحق عصفورا مكسور الجناح وهي تقترب منه حتى تكاد تمسك به لتفترسه لكنه كان في كل مرة يهرب ويهرب ويواصل الهرب في فرح وحبور واعتداد بالنفس وثقة، يا أم مطر! هذا

الحلم زارني أكثر من مرة، وفي كل مرة كانت الثعالب تلهث وتركض وتطارد وتمنَي نفسها باصطياد العصفور ولا تستطيع، يا أمي افتيني في رؤياي !

أمسكت أم مطر بيد أم عبد الرحمن بحب ودفء وبثت في عينيها موجات متتابعة من السلام والحب وقالت لها يا بنتي أبشري بالخير والنجاة، فالشجرة التي ابتلعت سينمو غيرها، والثعالب لن تطال العصفور ستبقى أيدي المتربصين بك مغلولة، وسيبقى كيدهم مردودا، فافرحي بما أنت عليه من جمال وحب وشباب، واحذري من عتبة الدار وما يتحرك فوق الجدار...

خرجت أم عبد الرحمن من بيت أم مطر بثوب من السكينة وحثت الخطى إلى بيتها لترى ما بال عتبة بيتها وسوره

دارت حول البيت وهي تتفحص السور وما فيه والعتبة وما لها، حتى خرج لها من بين شقوق السور خيط دخان حاول أن يعتصرها لكنها التجأت إلى العتبة، واحتمت بالباب فصعد من العتبة خيط أبيض طاول السماء والتف بقسوة وقوة على الخيط الأبيض واحتواه ولبث برهة ثم غار في الأرض آخذا معه شجرة الليمون

حدثت أم عبد الرحمن جاراتها بما حصل معها وانتشر خبرها مع الخيطين في المنطقة 10

وحلمت أنني في بركة من نار وماء تحوم حولي الحيتان، وتمر من بين عيني الرسائل الحمراء والسوداء والبيضاء والخضراء تحط فوق غرتي لينمو لها عينان ولسان وشفتان تضحك لي مرة وتضحك علي مرات..

...

حلمت أنني على القمر في قصر عال وحولي بساتين خضراء يحفها الماء متراقصا في كل مكان والشر يحاول الوصول إلي، ولكن فوق رأسي تقف جنية بعصاها تدفع عني الشر وعند قدمي قطة تقول لي : بين القلب والقلب ستقوم الحرب

...

حلمت يا أمي أن زوجي الحبيب قد صار صولجان، لا قلب لا حنان، لا صوت لا لسان يظل واقفا على يديه، وفوق رأسه تربع الشيطان

- حبيبتي هل تعرفين في أي زمان أو تعرفين في مكان ؟
- في بيتنا ؟
- وبيتكم حبيبتي، هل تعرفين لونه ما كان ؟
- لا أذكر الألوان !
- لكنني سمعت زوجي الحبيب ينادي، يبيع للغربان نخوة وعزة وحبا ! يدور في الأسواق يبيع للغربان كل ما نراه يظل شاردا ولا يعود إلا كي ينام..طلقته من زمن فكيف يا أمي يعود

وزوجي الثاني أحبه ويحبني، أخاف أن يرى ما أرى فيقلب الميزان !

- يا أمنا !

يومها دخلت مجموعة من نساء الحي باكيات مضطربات وقلن يا أم مطر لقد ألغي يوم التفسير وألغي رسم العبور وأقر للمرأة أكثر من زيارة للتفسير في العمر، وسمحوا لنا بالسير في شوارع المنطقة 10 ليلا ونهارا، وألغوا قانون توزيع الأنثى بالعدل والتساوي على القبائل في المنطقة 10

وسمحوا لكل راغب من أهلك بزيارتك أنى شاء ومتى شاء بلا دور ولا مرور ولا انتظار، وسيحسنوا لك في بعض أثاث الغرفة، وكانت رغبتهم أن يغيروا لك البيت كله لكنهم خافوا على قدرتك على التفسير من التغيير.

- يا أم مطر يا أمنا، هرمنا فردي إلينا نجوم الحياة !

قال رجل من أهل مطر لكنكم عقدتم اتفاقا مع أم مطر ينص في بنوده على أن دخول أقرباء أم مطر لا يخضع للدور ولا يمر بغرف الانتظار، ولا يحتاج للمشي في شارع المرور

هذه ليست رسوما هذه أجرة تشغيل وحراسة وحماية وتنظيم وإشراف

- لكنها أكثر من الرسوم السابقة

- ألم نقل لك ذلك فتلك كانت رسوما وهذه أجرة قوامة وتشغيل،ألا تفهم يا هذا ؟

- بلى، قلتم وزدتم وأفهمتم.

عادت شام لتسلق الجدار للاعتناء بأم مطر، فهي حين مرت، وهي المرة الأولى التي لا تتسلق فيها السور، لزيارة أم مطر طلبوا منها رسوم القوامة، وحين رفضت قالوا لها عودي من حيث أتيت ارجعي للبيت، وانتظري عودة الدور إليك.

هي تعرف أنه لن يسمح للأنثى إلا بزيارة واحدة في العمر لبيت أم مطر، ولن يكون لها الحق باختيار الحلم، وأن عليها الحصول على موافقة لجنة التفسير التي تضع شروطا صارمة على أحلام النساء، من ضمنها أن ترافقها ابنة رئيس اللجنة أو زوجة أحد أعضاء الفريق في زيارتها التفسيرية وعليها أن تحصل ورقة مكتوب عليها نص الحلم، وعدد كلماته، وحدود تفسيره، ومكتوب عليها يسمح لحاملها بالمرور والعبور وبتفسير الحلم وفق الشروط وضمن القانون.

اختفت أم مطر ؟

لم اختفت أم مطر ؟ سؤال شغل الصغير والكبير في المنطقة 10 فقد توزع أهل المنطقة 10 في حلقات تتبنى كل حلقة رأيا وموقفا من اختفاء أم مطر، قالوا إن الأرض انشقت وابتلعتها وقالوا إن حركة تحرير المرأة تخفيها عن أعين الحرس الذكوري، وقالوا إنها دخلت في ثنايا حلم ولم تعد منه، لكن أصابع قليلة أشارت إلى العميد وقالت بخوف إنه هو الذي اختطفها بسبب رفضها تفسير أحلامه من غير طريق المرافقات، ولأنها رفضت أن تستقبله في غرفتها أكثر من مرة.

وقد سمعنا في سبب اختفائها حكايات كثيرة ولكن لم نسمع واحدا يقول إنها هربت مع شام إلى معسكر المتدربين المتطوعين في العراق، ولم نسمع واحدا يقول إنها دخلت في حلم من أحلامها ولما تخرج...

ولم نسمع رأي عميد المنطقة في اختفاء أم مطر، ولا صوته،حتى إن لجنة التوجيه والتدريب لزمت الصمت، ولم تصرح للصحافة أو للناس بأي تصريح.

فهل اختفت أم مطر أم أنها عالقة في حلم استعصى على التفسير؟ أم تجسدت في تفصيلات حلم أحبته فاعادت تصميمه وتشكيله لتنعم فيه بالراحة والسكينة؟

لعلكم تتساءلون عن مصير أم مطر في ذاكرة الناس، وما حصل لتلك الأنفاس التي نفخت حسرة وقلقا عليها حين قيل إنها اختفت.

قيل لي إن الأصوات الصاخبة التي خرجت تطالب مجلس المنطقة 10 بالبحث عن أم مطر وتندد بالصمت المقصود المشكوك فيه الذي

يمارسه المجلس، قد هدأت واختفت من الشوارع، وعادت للاصطفاف من جديد في الطوابير الكثيرة التي تؤدي إلى بيت أم مطر، وعادت لتأخذ دورها فيها وتسعى لنيل موافقة لجان المجلس على تفسير أحلامها، فمع أن أم مطر مفقودة منذ سنة أو أكثر إلا أن صفوف الحالمين ما زالت تملأ الشوارع القريبة من بيتها والساحات الثلاثة، وما زالت طوابير الحالمين تتزاحم عند شبابيك الدور وأبواب العبور، وتقدم الطلبات للجنة التفسير والتنظيم والتدريب لأخذ الموافقة على أحلامها.

- أما زالت الأنثى تخاف سطوة لجنة التوجيه ؟
- ما زالت تخاف من أحلامها على أحلامها!

اختفت أم مطر تاركة خلفها نظاما صارما مبنيا على الأحلام وتفسيرها...

المُحتَوَيات

حكاية 7
مطر 15
أم مطر 16
شام 17
العميد يريد 20
في المعسكر 22
تفسير الأحلام 24
إعلان 26
أحمد الطائر 27
أهل القبور 29
ديوان التفسير 31
سالم : هذه أختي ! 33
تفسير 34
تدبير 35
الغول 36
بيان رقم 10 37
شام 39
الغول والملك عرجون 41
العرض العملاق 44
تفسير 45
رسالة 47
أول الركض 50
معارك 52
في المعسكر 57

تفسير 59
إعلان هام..... 63
لقاء 64
إعلان 66
قرية العميان 67
إعلان هام..... 71
أبو رجل مسلوخة 72
وثيقة الشرف..... 75
لمن أكتب يا أمي ؟..... 82
صحيفة المقاطعة..... 83
الزيارة غارة..... 87
الحب 92
مطر يتحدى 101
إعلان هام..... 108
لا نعترض..... 109
تفسير 113
كبر يا أبا غضب..... 116
أمي الحبيبة 124
حبيبتي الغالية 128
حياة الأحلام..... 132
أحلام من طين 134
اختفت أم مطر؟..... 139